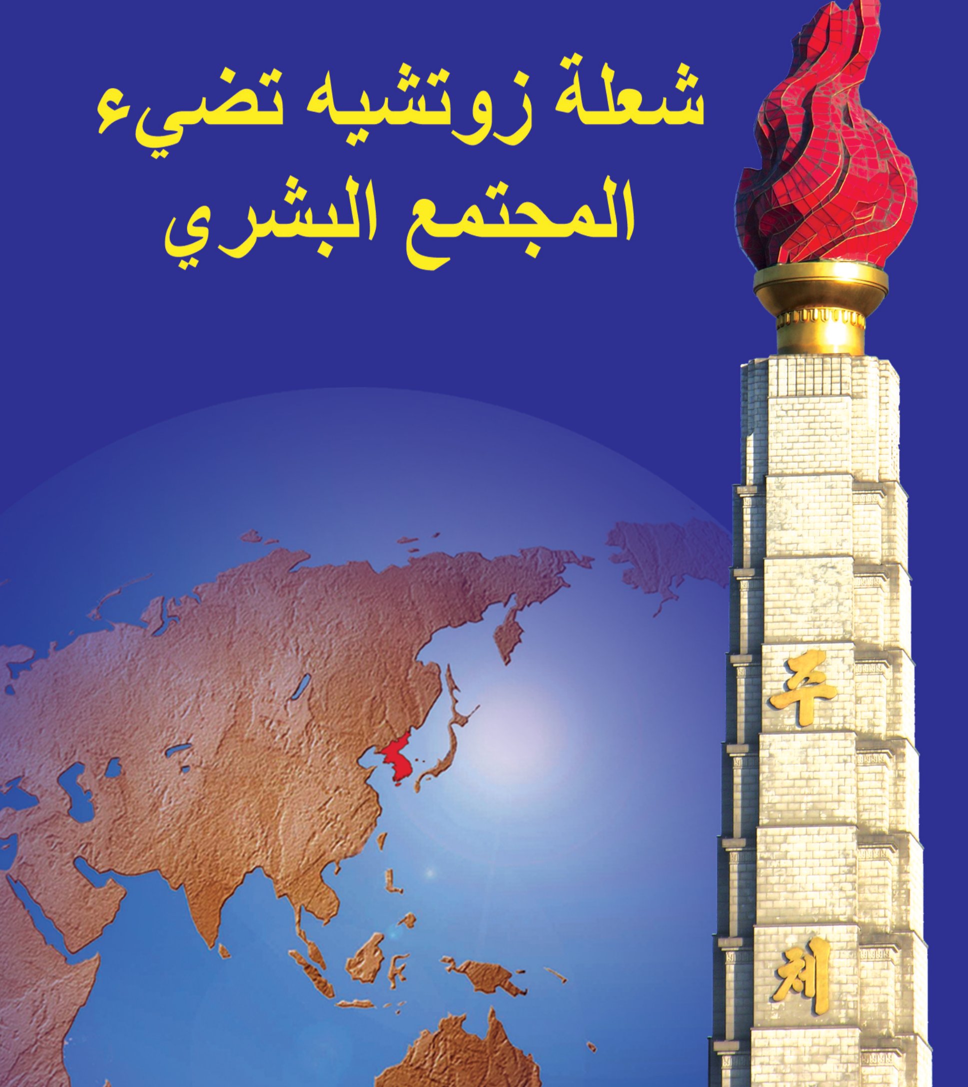
تفسير مبادئ فكرة زوتشيه ـ ٢

شعلة زوتشيه تضيء
المجتمع البشري



تفسير مبادئ فكرة زوتشيه ـ٢

شعلة زوتشيه تضيء المجتمع البشري

دار النشر باللغات الأجنبية
جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية
١٠٩ زوتشيه (٢٠٢٠)

مقدمة

يوجد في العالم اليوم مجال عملاق يسمى بالمجتمع، إلى جانب الطبيعة. لقد مضت ملايين السنين في تاريخ العالم على تواجد الطبيعة والمجتمع معا. إذا عدنا بذاكرتنا إلى الماضي، فنجد أن البشرية كانت تواصل المحافظة على حياتها في خضم المجتمع، فيما هي تطوع وتخضع الطبيعة الضارية لها.

أما المجتمع فهو موئل حياة الإنسان وحلبة نشاطه ولذا، لا يمكنه أن يبتعد عنه ولو للحظة واحدة.

كما لا يستطيع السمك أن يعيش خارج الماء، ولا يستطيع الطائر أن يطير بعيدا عن الهواء، كذلك لا يمكن للإنسان أن يعيش ولو للحظة واحدة بعيدا عن المجتمع. بما أن المجتمع هو موئل الحياة الذي تبدأ فيه وتتواصل حياة الإنسان، فيتعين علينا أن نعتز بالمجتمع وندفع ازدهاره.

لهذا الغرض، لا بد من تشريح المجتمع أولا وقبل كل شيء بأضواء نيرة تضيء ذلك المجتمع.

لا يمكن تدبير شؤون البيت على أفضل وجه إلا عندما يكون داخله نيرا، وبالمثل، إذا أريد تحسين المجتمع بما يتلاءم مع تطلعات البشر، لا بد أن تكون ثمة أضواء الأفكار والنظريات العظيمة التي تضيء جليا صورة ذلك المجتمع.

فقد ظهر عدد كبير من المفكرين المعروفين والمجهولين على مسرح التاريخ، وقدموا أفكارهم ونظرياتهم بأساليبهم الخاصة خلال القرون

الطويلة منذ أوائل المجتمع البشري، بغرض إنارة طريق تقدم المجتمع والبشر. إلا أن البشر لم يجدوا فكرا صادقا يبرزهم عن جدارة كسادة التاريخ.

ومع ذلك، ظهر في العالم، بحلول القرن العشرين، فكر فلسفي جديد مسمى بـ"زوتشيه". كانت هذه الفكرة الفلسفية المرتكزة على الإنسان، التي أبدعها المفكر والمنظر العبقري، الزعيم العظيم كيم إيل سونغ، وقام نابغة الفكر والنظريات، القائد العظيم كيم جونغ إيل بتعميقها وتطويرها، كانت شعلة جديدة استقبلها البشر. شعلة زوتشيه المشرقة هذه التي رفعها عاليا هذان المفكران الفريدان، تضيء اليوم أركان المجتمع بوضوح ومن زاوية جديدة، فضلا عن الطبيعة والإنسان، وتجعل مجال المجتمع البشري متميزا، وتعطي زخما أقوى لتقدم البشرية وتطورها.

لوجود أضواء زوتشيه النيرة، صارت جميع المبادئ الخاصة بالطبيعة والمجتمع والإنسان تظهر في تاريخ أفكار البشر بمظهر جديد.

يشرح هذا الكتاب مبادئ التاريخ الاجتماعي لفكرة زوتشيه.

من خلال قراءة هذا الكتاب، يمكن للقراء أن يعرفوا وجوه مجتمعهم وسياق تغيره وتطوره، وكذلك من هو صاحب يقود التاريخ الاجتماعي، وعلى أي طريق يتقدم المجتمع.

فهرس

١ـ تنفتح بوابة المجتمع البشري ٤

١) يعيش الناس جماعات في المجتمع.................................. ٤

٢) أنواع المجتمع التي استعرضناها عبر التاريخ ١٠

٢ـ بحثا عن صاحب التاريخ... ٢٣

١) شعب يحرك التاريخ.. ٢٤

٢) لماذا صاروا عرضة للنكبات المأسوية؟ ٣٣

٣) القرن العشرون ـ عصر الاستقلالية، عصر
جديد في تاريخ البشر ٤٧

٤) الصورة الحقيقية للذات الفاعلة المستقلة ـ
وحدة كوريا المتلاحمة بقلب واحد ٥٩

**٣ـ يتقدم المجتمع البشري على الطريق
الذي تشقه جماهير الشعب**... ٧٠

١) حسب القوانين الأصيلة للحركة الاجتماعية..................... ٧٠

٢) طريق التاريخ هو طريق الاستقلالية ٧٤

٣) تاريخ البشر ليس دربا هادئا ٨٦

٤) قوة دافعة عظيمة للتاريخ.. ٩١

١ـ تنفتح بوابة المجتمع البشري

نود هنا أن نفتح بوابة المجتمع لكي نعطي جميع الناس الذين يعيشون في العالم فهما صائبا عن المجتمع.

تتألف مبادئ التاريخ الاجتماعي لفكرة زوتشيه من أنظمة جوهر المجتمع، والذات الفاعلة للتاريخ الاجتماعي، والخصائص الجوهرية للحركة الاجتماعية.

في هذا الباب، نريد أن نتحدث عن جوهر المجتمع، ولذلك نكوّن هذا الباب من فصلين أحدهما "يعيش الناس جماعات في المجتمع"، والآخر "أنواع المجتمع التي استعرضناها عبر التاريخ".

١) يعيش الناس جماعات في المجتمع

حدث عالمي متميز- ظهور المجتمع

في مرحلة ما قبل مليون سنة من الآن، وقع على الكرة الأرضية حدث كبير لا نظير له في تاريخ العالم. إنه لم يكن ثوران بركان كبير أو زلزالا كبيرا أو اصطداما تخريبيا بين الكرة الأرضية والكوكب الآخر، وإنما كان ظهور المجتمع البشري بوصفه حدثا لم يسبق له مثيل في تاريخ طبيعة الكون السحيق العائد إلى ٢٠ مليار سنة.

من جراء ولادة البشر وظهور مجتمعهم، أصبح العالم يوقف أخيرا خطاه البطيئة الطبيعية والرتيبة، ويستقبل عهد التحول الجديد الذي

تتوحد فيه الطبيعة والمجتمع في خطاهما ضمن علاقاتهما المتبادلة.

ما إن خرج المجتمع إلى حيز الوجود حتى أظهر جليا جبروته المتميز أمام الطبيعة، وانطلق بجرأة إلى عالم الطبيعة الذي كان أشبه بأرض متجمدة أبدية لا تعرف أدنى ذوبان لقرون طويلة، وراح يترك آثاره الفريدة بعمق في كل مكان، فيما هو يهز الأراضي البور التي كانت تغرق في سبات طويل.

نتيجة لاتساع سريع لنطاق المجتمع، تحدث اليوم تغيرات جديدة وعظيمة حقا على مسرح العالم الشاسع وهي ليس في استغلال وتحويل طبيعة الكون الفسيح بلا حدود فقط، بل في حياة البشر ومصيرهم أيضا.

صاحب تغيير وتطوير هذا العالم الفسيح الذي يشتمل على الطبيعة والمجتمع ما هو إلا الإنسان. بما أن هذا الإنسان يعيش ويمارس النشاطات مشكلا المجتمع، سيتحول العالم دون ريب إلى عالم الإنسان الذي يكون فيه الإنسان سيدا له.

إذا أردنا أن نعرف جيدا تغير وتطور هذا العالم الذي يسوده الإنسان، فلا بد لنا من أن نكون على إلمام تام بجوهر المجتمع وتغيره وتطوره بوصفه نطاقا متميزا للعالم.

"بيت" يعيش فيه الناس مجتمعين ـ الجماعة الاجتماعية

نود أن نبدأ شرح هذا الجزء بعرض أقوال القائد العظيم كيم جونغ إيل.

بعد أن استشف القائد كيم جونغ إيل بحكمة ظواهر المجتمع، أعطى تعريفا علميا عما هو المجتمع، في مؤلفه الذي أصدره في يوم ٣ من كانون الثاني/ يناير عام ١٩٩٢ بعنوان "**الدروس التاريخية في البناء الاشتراكي والخط العام لحزبنا**".

قال فيه "**إن المجتمع يعني باختصار جماعة من الناس، يعيشون ضمن علاقات اجتماعية تستند إلى الثروات الاجتماعية**".

لا يمكن للإنسان أن يعيش بمفرده. الإنسان المعزول عن المجتمع لا يختلف عن الورقة المتساقطة، إذا جاز التشبيه بالنبات. لا يستطيع الإنسان أن يعيش تحت مظهر لائق به إلا عندما يشكل جماعة اجتماعية، ومن دونها، لا يمكنه أن يسيطر على العالم العملاق حسب مطالبه، من خلال إظهار ذكائه وقوته بكفاية.

إن السبيل الوحيد لبقاء الإنسان على وجوده وتطوره بكونه كائنا اجتماعيا هو عيشه عبر تشكيل الجماعة الاجتماعية في اتحاد مع الآخرين. هذا هو أسلوب أصيل لوجود الإنسان الذي يختلف عن الكائنات المادية الأخرى مثل الحيوان.

صحيح أن الحيوانات التي تعيش زمرا لا تقل في عالم الطبيعة أيضا. مثلا إن القرد يعيش زمرا، وكذلك يعيش النمل والنحل جماعات يتألف كل منها من الآلاف أو عشرات الآلاف.

كما أن بعض أنواع الحيوانات تصطاد الطرائد "جماعيا" إلى حد يشبه جماعة من الناس، وحين يقترب الخطر منها، ترسل "الإشارة" إلى زمرتها، وتتحرك حسب "النظام" المعين. غير أن جماعة من الناس تختلف اختلافا جذريا عن زمرة الحيوانات.

إذا كانت زمرة الحيوانات مجرد تجمع انضم إليه أفرادها بشكل أعمى، فإن جماعة الناس هي تشكيلهم الواعي والهادف والمنظم الذي ينطلق من مطالبهم ومصالحهم الحياتية المعينة.

الجماعة الاجتماعية هي بالذات وحدة أساسية يتحد فيها الناس ضمن هذه العلاقات الاجتماعية، ويصنعون مصيرهم، فيما هم

يحولون ويغيرون الطبيعة والمجتمع.

وهنا ما لا بد من تأكيده هو أن المجتمع لا يتألف من الناس وحدهم، رغم كونه تجمع الناس. كما ذكرنا آنفا، ينطوي المجتمع على الخيرات الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية، ما عدا الناس.

لا يمكن للإنسان أن يعيش بمجرد جسده العاري، وفي حالة العزلة. لكي يعيش الإنسان، يحتاج إلى الخيرات الاجتماعية اللازمة لأكله ولبسه وسكنه، ويجب أن تتشكل علاقات التعاون لتبادل المنتجات فيما بين الناس.

لنأخذ عملية الإنتاج وحدها مثلا. إذا نظرنا إلى عملية إنتاج السيارات أو السفن أو الطائرات، فنرى أن مختلف أنواع المواد المعدنية والكيميائية وسائر معدات الإنتاج مثل الرافعة والربوط والكمبيوتر تستخدم فيها، وكذلك يشارك فيها عدد كبير من الناس معا مثل واضعي التصاميم والمهندسين التنفيذيين والصانعين. علاقات التعاون هذه لا تنحصر على حقل الإنتاج وحده، بل تشمل نشاطات الدولة السياسية والأنشطة الثقافية والفنية أيضا بحيث تجري جميعا على ذلك الغرار.

انطلاقا من واقع المجتمع هذا، تقول فكرة زوتشيه إن المجتمع يضم الخيرات الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية، إضافة إلى الناس. إذا كانت الخيرات الاجتماعية هي وسائل مادية وثقافية يصنعها الناس ويستخدمونها، ففي وسعنا أن نقول إن العلاقات الاجتماعية هي علاقات بين الناس تقام في سياق حياتهم الاجتماعية.

إذن، يطرح هنا سؤال حول ما إذا كانت هذه المقومات الثلاثة تؤثر بشكل متساو على وجود المجتمع وتطوره. صحيح إن هذه المقومات الثلاثة لا غنى عنها لوجود المجتمع وتطوره، لكنها تختلف اختلافا كبيرا من أحد للآخر في مكانتها أو دورها.

هناك عنصر نواتي من هذه المقومات، أي سيد يحتل مكانة محورية ويؤدي دورا رئيسيا. ترى من هو سيد حقيقي يشرف على كل ما في المجتمع ويقوده من بين مقوماته الثلاثة ؟

الإنسان سيد حقيقي للمجتمع

لا تشكل جميع مقومات المجتمع علاقات ميكانيكية متساوية كما في حركة الأجرام السماوية في النظام الشمسي، ولا علاقات وجود عفوية مثل السلاسل الغذائية لدى الحيوانات.

خلافا لما في الطبيعة، يوجد في المجتمع سيد يسيطر عليه، وبفعله، تتغير وتتطور كل الأشياء والظواهر الاجتماعية، مرتبطة بعضها ببعض.

قال القائد العظيم كيم جونغ إيل:

"المجتمع يتألف من الناس ومن الخيرات الاجتماعية التي انوجدت وتنوجد على أيديهم ومن العلاقات الاجتماعية التي تربط تلك الأشياء كلها. وهنا يقوم الإنسان سيدا في كل الأحوال."

تعلل فكرة زوتشيه من الناحيتين أن الإنسان سيد للمجتمع.

أولهما هو أن المجتمع يتخذ الإنسان أول مقوم من مقوماته. بعيدا عن الإنسان، لا يمكن تصور نشوء المجتمع، ولا وجوده ولا تطوره. بناء على معلومات علم الآثار القديمة العالمية التي تم إثباتها علميا حتى الآن، نشأ الإنسان والمجتمع كلاهما في نفس الفترة.

نشوء المجتمع يرتبط بالإنسان ارتباطا لا ينفصل. ومن هنا، تقول فكرة زوتشيه بأن الإنسان سيد حقيقي للمجتمع، لا الخيرات الاجتماعية ولا العلاقات الاجتماعية.

ثانيهما هو أن الإنسان يؤدي دورا أساسيا في كل أوجه تحويل المجتمع وتطويره.

لقد تراكمت في المجتمع كميات هائلة من الخيرات التي تؤدي دورا أكبر في تطور المجتمع والإنسان على مر الأيام. إلا أن الخيرات الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية ليست سوى إبداعات الإنسان التي لم تظهر إلى حيز الوجود إلا بعد ظهوره، فمن دونه، لا تصنع ولا تتغير تلك الإبداعات على الإطلاق.

إن الخيرات الاجتماعية التي تم إبداعها حتى الآن ضخمة بالفعل، ويتعاظم دورها باستمرار، ولكن لا يجوز لنا إطلاقا، بدعوى ذلك، أن نرى دور الإنسان ينخفض في المجتمع.

يستخف بعض الناس بدور الإنسان ويبالغون في تقدير دور الوسائل المعلوماتية، متذرعين بحقيقة واحدة هي أن الإنتاج لا يمكن أن يدور اليوم في عصر صناعة المعلوماتية دون الكمبيوتر، لكن ذلك أسلوب تفكير ضيق التبصر.

جميع الأشياء في المجتمع تتوقف كليا، في نهاية المطاف، على عقل الإنسان ودوره.

نفس الشيء ينطبق على العلاقات الاجتماعية أيضا. تتميز العلاقات الاجتماعية بالتعقيد، وتمارس أثرا كبيرا في مصير الإنسان وحياته وفي زيادة الخيرات الاجتماعية، وبالتالي، لا يمكن تجاهل العلاقات الاجتماعية البتة بشأن وجود المجتمع وتطوره. ولكن حين نطرح على بساط البحث مسألة كيفية تشكل العلاقات الاجتماعية ونوعية العلاقات المتبادلة بين الناس، أي نتيجة تأتي من ذلك؟

مهما تكن العلاقات الاجتماعية معقدة، ترتبط وتتشكل تلك العلاقات

الكثيرة من خلال الحوار بين الناس على نطاق ضيق، ومن خلال العلاقات المتبادلة بين البلدان والأمم على نطاق واسع، وبعبارة أخرى، من خلال الناس والمجموعات الاجتماعية.

طبعا إن شبكة الإنترنت تشكلت اليوم على قدم وساق على مستوى العالم، من جراء انتشارها السريع، حتى صارت الصلات بين الناس وبين البلدان أوثق من ذي قبل، وعلى هذا النحو، تؤدي مختلف أنواع الوسائل الحديثة دورا كبيرا في جعل العلاقات الاجتماعية أكثر عقلانية وتسهيلا، ولكنها جميعا يتحكم بها الإنسان. بغير الإنسان، لا يعدو كونها مجرد أجسام عاجزة عديمة الحياة لا تقوم بأي دور.

كما تقدم آنفا، يصنع الإنسان الخيرات الاجتماعية ويستخدمها، ويشكل جميع العلاقات الاجتماعية ويغيرها. والحالة هذه، لا يسعنا إلا أن نعتبر الإنسان مبدع المجتمع ومدبر شؤونه ومستخدمه. فإن الإنسان هو بالضبط سيد المجتمع.

٢) أنواع المجتمع التي استعرضناها عبر التاريخ

كما يمر الإنسان بمختلف المراحل مثل الطفولة والحداثة والشباب والكهولة والشيخوخة منذ ولادته، كذلك كان البشر يمرون بمختلف مراحل تطور الأنظمة الاجتماعية.

أنواع المجتمع التي ظهرت حتى الآن منذ نشوء المجتمع البشري، كانت متعددة ولكن، صار بعضها بائدا، حتى لا نرى وجوده إلا في متحف التاريخ أو في كتب التاريخ التعليمية العادية، وظل بعضها الآخر باقيا لحد الآن، بحيث ما زال يؤثر في حياة البشر وتغير العالم وتطوره

علــى هــذا النحــو أو ذاك. وبالمقابــل، كــان هنــاك المجتمــع الرجعــي واللاإنسـاني الـذي أعـاق تطـور المجتمـع إلـى حـد كبيـر. لقـد أقـام البشـر مختلـف أنـواع المجتمـع، وأثنـاء عيشـهم فيهـا، كـانوا يعـانون التعرجـات والالتواءات المليئة بالعذابات حينا، وكانوا ينطلقون حينا آخر إلى طريق الإبـداع والنضـال ليتمتعـوا بالحيـاة المسـتقلة. فـي سـياق التـاريخ الشـاق لتغيير المجتمع، كان النـاس يقلبـون المجتمـع غيـر المناسـب لهـم بنضـالهم الثوري.

غنـى عـن القـول إن مجـرى التـاريخ كـان يتواصـل عمومـا إلـى اتجـاه التقدم والتغير، لا اتجاه التراجع، من خـلال النضـال المثـابر الـذي خاضـه البشر التقدميون.

فلنعد، إذن، بذاكرتنا إلى التاريخ كي نعرف ما هو أول مجتمع أوجده البشر وما هو مجتمع يحقق مثلهم العليـا، فـي مجـرى تطـور تـاريخ البشـر المليء بالعثرات.

أول مجتمع بشري ـ المجتمع المشاع البدائي

المجتمـع المشـاع البـدائي هـو أول مجتمـع خلقـه البشـر مـع ظهـورهم علـى الـدنيا. فقـد نشـأ هـذا المجتمـع قبـل نحـو مليـون سـنة مـن الآن، ودام وجوده حتى قبل ٥٠٠٠ سنة.

كان ظهور هذا المجتمع تحولا جذريا في تطور العالم المـادي الأبـدي وغير المحدود، وقدوم تاريخ جديد لتطـور العـالم الـواقعي وحلـول عصـر جديد لنشاطات الإنسان العظيمة.

قبل ظهور هذا المجتمـع، لـم يكـن ثمـة أي مجتمـع بشـري، مـا عـدا عـالم الطبيعـة التلقائيـة التـي لـم تكـن تسـودها إلا النباتـات كالسـرخس

والأحياء غير الواعية مثل الديناصور، والجمادات.

جاء اليوم استنتاج علمي نسبيا عن المجتمع المشاع البدائي، نتيجة للبحوث الطويلة من جانب الآثاريين والباحثين في العالم.

كان هذا المجتمع باختصار مجتمعا يعيش فيه الناس حياة مشتركة في العلاقات المتساوية البدائية.

في تلك الفترات، مر الناس الذين خرجوا توا من مرحلة القرد الشبيه بالإنسان، بمراحل الإنسان البدائي والإنسان البالينتروبي والإنسان النيوتروبي، وبعد أن شكلوا مجموعات بدائية، كانوا يعيشون على أساس المشاعية القبيلية من النظام الأمومي والنظام الأبوي.

كانت مكانة الناس متساوية ولو بالشكل البسيط غير الناضج، دون أن ينفصلوا إلى طبقات أو فئات كما نراها اليوم.

في ذلك المجتمع، كانت ثمة منظمة سياسية بدائية مسماة بالمجلس الاستشاري العشائري، وكذلك زعماء العشائر والأمراء والقادة العسكريون.

وكانت أدوات الإنتاج حجرية تطورت مرورا بمراحل العصور الحجرية القديمة والوسطى والحديثة وغيرها، وفي العهود اللاحقة، كانت برونزية.

كان الناس يملكون وسائل الإنتاج بشكل مشترك، ويعملون معا، ويقسمون المنتجات على قدم المساواة لاستهلاكها. طبعا إن وسائل الإنتاج والمنتجات في المجتمع البدائي كانت حقيرة جدا، ولكن هذا المجتمع يتميز عن نظيره الطبقي، نظرا لأنها تم إنتاجها وتوزيعها واستهلاكها بصورة مشتركة.

في ذلك العصر، كان وعي الناس يقتصر على الوعي الديني البدائي الذي يتميز بالطوطمية والأرواحية، فضلا عن انعدام العلوم

والحروف، وكان جميع أبناء المجتمع جهلة من كل الجوانب.

وفي أواخر المجتمع البدائي، انفصل أبناء المجتمع العشائري إلى طبقات متناحرة.

إن زعماء المجلس الاستشاري العشائري حولوا بالتدريج صلاحياتهم القيادية السياسية إلى امتيازاتهم، وجعلوها تنتقل بالوراثة من الأب إلى الابن، وبالاستفادة من ذلك، أخذوا يعتدون على مصالح أفراد العشائر الآخرين، ويصبحون قوى عدائية لهم. ومن جهة أخرى، صارت تصدر المنتجات الفائضة عن استهلاك الناس طردا مع تطور القوى المنتجة، وخرج إلى حيز الوجود أناس يحتكرونها ويستخدمونها لاستغلال أفراد العشائر الآخرين.

مع نشوء الطبقات في أواخر المجتمع البدائي، ظهرت الدولة من حيث هي منظمة سياسية تهدف إلى شرعنة مكانة ذوي الامتيازات السياسية والاقتصادية وتثبيتها بشكل راسخ، وبذلك، بات المجتمع البدائي ينتقل إلى مجتمع استغلالي.

أول نتاج عن العداء الطبقي - مجتمع الرق

كان مجتمع الرق أول مجتمع استغلالي يقوم على امتلاك كامل لسلطة الدولة ووسائل الإنتاج والرقيق من طرف طبقة أصحاب الرقيق.

في هذا المجتمع، ظهرت الطبقات لأول مرة، ونشأت الفوارق والخلافات والتناقضات والتنافرات بين الطبقات، حتى تشكلت الطبقة الحاكمة والمستغِلة، والطبقة المحكومة والمستغلة. فيما يتعلق بتركيبة هذا المجتمع، كانت تضم الرقيق وأصحابهم من حيث الطبقة الأساسية وسواهم من قلة الحرفيين وصغار الفلاحين.

جعلت طبقة أصحاب الرقيق سلطة الدولة ووسائل الإنتاج الأساسية مثل الأراضي الزراعية وحتى الرقيق ملكا كاملا لها، واستغلتهم بضراوة من حيث هي سيدة هذا المجتمع.

أما الرقيق الذين يشكلون جماهير كادحة أساسية في هذا المجتمع فكانوا طبقة مضطهدة ومستغلة ومهانة، ولم يكونوا إلا "أدوات ناطقة" يبيعها ويشتريها ويتصرف بها أصحاب الرقيق على هواهم.

كما تنص عليه إحدى المواد في قوانين روما القديمة، كان "الرقيق حيوانا وبضاعة".

في ذلك العهد، كان العبيد يحسبون بكذا وكذا "رأس"، مثل عد عدد الحيوانات، ويوزعون ويباعون مثل السلع عديمة الحياة.

تتجلى أحوالهم في تصنيف أدوات المزرعة إلى ثلاثة أنواع من قبل الرومان القدماء، أي أولها ناطقة بوضوح، وثانيها ناطقة بإبهام، وثالثها غير ناطقة مطلقا. هنا، يشير أولها إلى العبيد.

علاوة على ذلك، ذهب العبيد ضحايا عند وفاة صاحبهم أو عند تشييد القصر الكبير، حتى دفنوا أحياء في داخل قبر صاحبهم أو بجانب حجر أساس المباني. كما أن أوضاع الحرفيين والفلاحين الصغار لم تختلف عن حالة العبيد، نظرا لأنهم كانوا يتعرضون للاستغلال والاضطهاد من لدن أصحاب الرقيق، وازدادت حياتهم تدهورا يوما بعد يوم، حتى تحولوا إلى عبيد.

في مجتمع الرق، اشتد نضال العبيد الرامي إلى التخلص من العبودية الشخصية من طرف أصحاب الرقيق، مما أدى إلى انهيار هذا المجتمع.

إن انتفاضات العبيد مثل ثورة العبيد بقيادة إسبرطقوس، المعروفة على نطاق واسع في العالم والتي قامت في روما بين عامي ٧٤ و٧١

ق.م وجهت ضربات فادحة إلى طبقة أصحاب الرقيق، وزعزعت نظام الرق بحد ذاته من أساسه.

بعد سقوط مجتمع الرق، حل محله المجتمع الإقطاعي الاستغلالي.

مجتمع المراتب الاجتماعية ـ المجتمع الإقطاعي

كان المجتمع الإقطاعي هو مجتمع يستولي فيه ملاك الأرض والعقاريون الإقطاعيون على سلطة الدولة ووسائل الإنتاج، ويضطهدون ويستغلون الأقنان والفلاحين بقسوة.

لقد دام وجود هذا المجتمع في كوريا من تأسيس كوغوريو في القرن الثالث ق.م إلى أواسط القرن التاسع عشر، أما في أوروبا الغربية فاستمر في الفترة بين سقوط إمبراطورية روما الغربية في القرن الخامس وما قبل الثورة البرجوازية الإنجليزية في أواسط القرن السابع عشر.

كان المجتمع الإقطاعي نوعا آخر من المجتمعات الاستغلالية حل مكان مجتمع الرق ولهذا فقد سادته أشكال الحكم والاستغلال غير المباشرين الأكثر مكرا، القائمين على المراكز الاجتماعية أو الأراضي الزراعية، لا أشكال الحكم والاستغلال العلنيين في مجتمع الرق.

في المجتمع الإقطاعي، سعت الطبقة الحاكمة الإقطاعية للتغطية على استغلال الفلاحين واضطهادهم بالاستفادة من الدين، وفي سياق ذلك، شاعت الأوهام الدينية في المجتمع كله، وسادته الديكتاتورية الروحية للكنائس.

ههنا بالذات يكمن السبب وراء تسمية الأخلاف القرون الوسطى بـ"قرون الدين".

في المجتمع الإقطاعي، تركزت كل السلطات على أعلى الحكام، أي الأباطرة أو الملوك أو البابوات، وعلى أيديهم، مورست نشاطات الدولة.

إن الطبقة الحاكمة الإقطاعية قيدت جماهير الشعب العامل بنظام المراكز الاجتماعية، واضطهدتها سياسيا وعلى ذلك، تعرضت جميع الفئات للاستعباد والسيطرة منضوية كل على حدة إلى المراكز الاجتماعية المعينة.

كانت الطبقات الأساسية في المجتمع الإقطاعي هي ملاك الأراضي (العقاريون الإقطاعيون) والفلاحون وغيرهم من الحرفيين والتجار.

كان ملاك الأراضي الإقطاعيون طبقة استغلالية، طبقة حاكمة، أما الفلاحون فهم طبقة مستغلة، طبقة محكومة.

كان اضطهاد واستغلال طبقة ملاك الأراضي الإقطاعيين لجماهير الشعب العامل في المجتمع الإقطاعي مشروعا بموجب نظام المراكز الاجتماعية.

في المجتمع الإقطاعي، كانت الطبقة الحاكمة، الطبقة الاستغلالية تتمتع بالمراكز الاجتماعية المميزة، في حين انضمت الطبقات المستغلة إلى المراكز الاجتماعية الوضيعة.

استطاع المنتسبون إلى المراكز الاجتماعية المميزة أن يكونوا كبار الموظفين في الدولة، وتم إعفاؤهم من الضرائب والأعمال الإجبارية، وفي حالة ارتكابهم الجرم، تمتعوا بالامتياز من تخفيف العقوبات وأمثاله.

أما المنضمون إلى المراكز الاجتماعية الوضيعة فكتب عليهم أن يكونوا عرضة للاستغلال والاضطهاد والاحتقار والإهانة جيلا بعد جيل. هكذا، قام نظام المراكز الاجتماعية على العلاقات بين الطبقات في ذلك المجتمع. كما حوفظ على نظام المراكز الاجتماعية عبر انتقاله بالوراثة بعد إقامته، متسما

بالاستقلالية النسبية عن العلاقات بين الطبقات.

كانت وسائل الإنتاج الأساسية في المجتمع الإقطاعي هي الأراضي الزراعية، وكان ملاك الأراضي والعقاريون الإقطاعيون يملكون مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية، ويستغلون قوة عمل الأقنان والفلاحين ومنتجاتهم العملية بشكل أجرة الأراضي الإقطاعية.

ولكن في المجتمع الإقطاعي أيضا، لم تكن تكتفي جماهير الشعب باختيار سبيل الموت جالسين.

فقد دار نضال الفلاحين ضد الإقطاعية لما يقرب من ٢٠٠٠ سنة في الغرب والشرق على السواء، بدءا بانتفاضة الفلاحين بقيادة تشن شنغ ووو قوانغ ضد سلالة تشي هوانغ تي الإقطاعية التي قامت بالصين عام ٢٠٩ ق.م والتي سجلت كمقدمة النضال المناهض للإقطاعية في القرون الوسطى ليس في تاريخ الصين فقط، بل في تاريخ العالم أيضا ونتيجة لذلك، بدأ المجتمع الإقطاعي الذي كان يبدو كأنه مطلق القدرة ينهار تدريجيا.

عقب المجتمع الإقطاعي، ظهر المجتمع الرأسمالي وهو آخر مجتمع استغلالي، ومجتمع أكثر رجعية في التاريخ.

حلبة نشاط المال والرأسمال ـ المجتمع الرأسمالي

المجتمع الرأسمالي هو آخر مجتمع استغلالي للبشر تقوم فيه حفنة من طبقة الرأسماليين باضطهاد واستغلال جماهير الشعب العامل، بعد احتكارها لسلطة الدولة وجميع وسائل الإنتاج.

تكمن خاصية المجتمع الرأسمالي في أنه استعاض، باعتباره مرحلة أخيرة من مراحل المجتمع الاستغلالي، عن الاستغلال الذي كان مستترا بالأوهام الدينية والسياسية في القرون الوسطى، بالاستغلال العلني والوقح

والمباشر والشرس، وحوّل قيمة الإنسان الشخصية إلى قيمة التبادل.

في المجتمع الرأسمالي، تتمتع قلة قليلة من الطبقة الاستغلالية بجميع أنواع الحقوق والحريات والملذات، بينما جماهير الشعب الغفيرة مثل العمال والفلاحين لا تتمتع حتى بأبسط الحريات والحقوق، وتعيش حياة غير إنسانية.

في هذا المجتمع، تستغل طبقة الرأسماليين الجماهير الكادحة التي تخلصت من عبودية المراكز الاجتماعية بعد تحويلها إلى مأجورين.

إن ما حل مكان المراكز الاجتماعية في المجتمع الإقطاعي باعتباره أداة استغلال أخرى كان هو المال والرأسمال. في المجتمع الرأسمالي الذي يسمى بمجتمع تسوده قدارة المال، لسيطرة المال والرأسمال على كل شيء، تتحول علاقات المراكز الاجتماعية بين الناس إلى علاقات التبادل، ويجري استغلال جماهير الشعب العامل ونهبها علنا وجهرا. في هذا المجتمع، يضطر الكادحون الذين لا يملكون أي وسيلة من وسائل الإنتاج إلى بيع قوتهم العاملة لطبقة الرأسماليين، مأجورين لها.

القول بأن "المال هو إله في هذه الدنيا" هو كلام مختصر لطبيعة المجتمع الرأسمالي الذي تسوده قدارة المال. المجتمع الرأسمالي ما هو إلا مجتمع مقلوب يضع المال على الإنسان ويجعل المال يمارس السياسة وينطق بالكلام، مجتمع لا يقدر فيه الإنسان بأي قيمة بالمقارنة مع المال، ويتكلم المال، لا الإنسان.

كما قال كارل ماركس منذ زمن بعيد، ظهر في هذا المجتمع الرشوة، بدلا من الاضطهاد العنفي، وصار المال أهم وسيلة للسلطة الاجتماعية، بدلا من السيف.

في المجتمع الرأسمالي، يفرض على جماهير الشعب بدءا بالطبقة

العاملة كل أنواع حرمان الحقوق والاحتقار والإهانة في جميع ميادين الحياة الاجتماعية.

وهذا المجتمع هو أكثر المجتمعات الاستغلالية وقاحة وضراوة والذي طبيعته هي غزو البلدان والأمم الأخرى ونهبها، فضلا عن أبناء الشعب المحلي.

إن الرأسمالية تحوّل الفردية إلى طمع وجشع لحفنة من طبقة الرأسماليين، ويجعل الخلاف العدائي للمجتمع، القائم على الفردية يبلغ ذروته.

في المجتمع الرأسمالي، تغدو مصلحة الأفراد أعلى مثلية وهدف، وتكون التضحية بالآخرين من أجل ثراء الأفراد ومتعتهم ظاهرة من الظواهر العادية. ففي هذا المجتمع، تتوسع ظاهرة "ازدياد الغني غنى والفقير فقرا" بصورة أكبر على مر الأيام.

مهما تطورت صناعة المعلوماتية، لا يمكن شفاء الأمراض العضالة للمجتمع الرأسمالي مثل الخلاف والتناقض بين العمال والرأسماليين، والفوارق بين الفقراء والأغنياء، وأزمة البطالة، وأزمة الاقتصاد وركوده، ولا تتغير الطبيعة الاستغلالية والنهبية للرساميل.

هذا ولا يؤدي تطور صناعة المعلوماتية مطلقا إلى إزالة الخلاف والتناقض الطبقيين للمجتمع الرأسمالي ولا تلبية مطالب جماهير الشعب المستقلة.

حتما إن الرأسمالية تتعرض للفناء، من جراء مطالب جماهير الشعب المستقلة المتزايدة، واشتداد ما لدى هذا المجتمع من عدم المساواة وعدم التوازن، والطبيعة الرجعية وغير الشعبية، يوما بعد يوم.

إنه لقانون من قوانين تطور التاريخ لا يمكن مخالفته أن ينتقل المجتمع الرأسمالي القائم على الفردية إلى مجتمع اشتراكي قائم على الجماعية.

دمار المجتمع الرأسمالي القائم على الفردية أمر لا مفر منه، وينتج عن دماره المجتمع الاشتراكي بالذات.

أما المجتمع الاشتراكي فهو مجتمع جديد فازت به الشعوب من خلال نضالها ضد المجتمع الرأسمالي، ومجتمع تقدمي يتحرر من الاستغلال والاضطهاد بشتى أنواعهما.

مجتمع مثالي للبشرية – المجتمع الاشتراكي

طوال وجود المجتمعات الماضية، كان البشر يظمأون بإلحاح إلى مجتمع لا استغلال ولا اضطهاد فيه. لكن تلك الأمنية الدهرية أخنى عليها الزمان في دوامة التاريخ العائد إلى آلاف السنين، ولم تتحقق مرة.

ولكن البشر أوجدوا أخيرا ذلك المجتمع الذي تتحقق فيه مثلهم العليا، وهو ليس المجتمع الرأسمالي، ولا المجتمع الإقطاعي ولا مجتمع الرق، بل إن ذلك هو المجتمع الاشتراكي باعتباره مجتمعا وحيدا يحقق المثل العليا لجماهير الشعب الغفيرة.

فيما يتعلق بالصورة الحقيقية للمجتمع الاشتراكي، يمكن ملاحظتها من خلال الحياة الاشتراكية التي يتمتع بها الشعب الكوري.

في المجتمعات الاستغلالية الماضية، كان يفرض على أبناء الشعب الكوري مصير العبيد فقط وهم يعانون الهامشية في سياسة الدولة عبر قرون، ولكنهم صاروا يظهرون على حلبة السياسة بوصفهم سادة حقيقيين للدولة والمجتمع، وذلك نتيجة لإقامة المجتمع الاشتراكي.

لنأخذ تركيبة نواب مجلس الشعب الأعلى التاسع لهذا البلد مثلا، فهي تتألف من ٣٧ بالمائة من العمال و١٠,٤ بالمائة من المزارعين التعاونيين وغيرهم من الساسة ورجال العلوم والثقافة والفن والمتدينين،

وتحتل نسبة النائبات النساء ٢٠,١ بالمائة. نفس الشيء ينطبق على تركيبة نواب مجالس الشعب المحلية أيضا.

كان ذلك أمرا يفوق التصور في الماضي، ويغدو أمرا أشبه بالأسطورة بالنسبة لجماهير الشعوب في عدد كبير من البلدان، التي ما زالت تئن تحت وطأة الاستغلال الرأسمالي والعبودية الاستعمارية. فقد قال أحد الساسة الغربيين بشأن ذلك إنه "إذا كانت ثمة فئة الامتياز في شمالي كوريا فهي الشعب ليس غير"، وذكر أحد الأساتذة الفرنسيين أن أبناء الشعب الكوري هم حقا "ساسة" يبحثون شؤون الدولة، و"حكام" موقرون، و"قضاة" عادلون.

إذن، لماذا يكون المجتمع الاشتراكي مجتمعا متفوقا على هذا النحو؟

ذلك أولا أن هذا المجتمع يتيح لجماهير الشعب أن تصبح سيدة له.

قال القائد العظيم كيم جونغ إيل:

"المجتمع الاشتراكي هو مجتمع تصبح جماهير الشعب فيه هي السيدة، وهو يتطور بالقدرة الخلاقة لجماهير الشعب المتحدة في كيان واحد."

في المجتمع الاشتراكي، تصبح الأغلبية الساحقة من جماهير الشعب العامل مثل العمال والفلاحين سادة للمجتمع، أولئك الذين كانوا منبوذين وهم يسمون بالأقنان والعبيد في الأيام الماضية. لم يحدث ذلك ولو مرة في أي مجتمع من المجتمعات، طوال فترات التاريخ الاجتماعي الماضي. ولكن في المجتمع الاشتراكي، تصبح جماهير الشعب هذه سيدة حقيقية للمجتمع، حتى تقبض بأيديها على سلطة الدولة ووسائل الإنتاج التي كانت حكرا على الطبقات الاستغلالية وحدها، وتديرها بقوتها الذاتية.

كما أن المجتمع الاشتراكي يتميز بأن تخدم جميع الأشياء فيه جماهير الشعب.

في هذا المجتمع، يتمتع جميع الناس العاملين دون استثناء بحقوق الأكل واللبس والسكن، وتتوفر لهم كل الظروف اللازمة لذلك حقا وفعلا، من قبل الدولة والمجتمع، ويشاركون في العمل الخلاق لصالح المجتمع وأنفسهم في مهنهم المستقرة حسب قدراتهم، ويتلقون حصة من الحصص الموزعة، حسب نتائج عملهم المنجز، وكذلك ينعمون بالمنافع الكبيرة بفضل الإجراءات الشعبية التي تتخذها الدولة.

٢- بحثا عن صاحب التاريخ

قد لاحظنا حتى الآن طبيعة المجتمع والأنظمة الاجتماعية المتنوعة التي تشكلت عبر التاريخ.

الجزء التالي لمبادئ التاريخ الاجتماعي لفكرة زوتشيه هو موضوع الذات الفاعلة للتاريخ.

سنرى في هذا الجزء من هو صاحب التاريخ الاجتماعي، أي الذات الفاعلة له، وما هي مكانته ودوره.

المضمون الرئيسي لهذا الباب هو أن جماهير الشعب هي الذات الفاعلة للتاريخ، ولا تستطيع جماهير الشعب أن تصنع مصيرها على نحو مستقل وخلاق، إلا عندما تصبح ذاتا فاعلة مستقلة للتاريخ.

بما أن مبادئ التاريخ الاجتماعي لفكرة زوتشيه أعطت إيضاحا علميا للدور الحاسم الذي تؤديه جماهير الشعب بكونها ذاتا فاعلة في عملية تطوير التاريخ، معتبرة جماهير الشعب ذاتا فاعلة للتاريخ، فقد جعلت التاريخ الاجتماعي يصبح من أوله إلى آخره تاريخ الذات الفاعلة، تاريخ جماهير الشعب.

فكرة زوتشيه ليست مجرد نظرية، بل وهي تتميز بقوتها التطبيقية العظيمة ولهذا، تخطت حدود النظرية حتى غيرت القرن العشرين من أساسه، وتجسدت بالشكل الأمثل في واقع كوريا الاشتراكية، البلد الكائن بالشرق.

إن الواقع المشرق الذي نراه في كوريا المتمحورة على جماهير الشعب،

الذائعة الصيت في العالم، ما هو إلا ثمرة قيمة أعطتها فكرة زوتشيه.

إذن، ما هو تاريخ جماهير الشعب الذي تخرج به فكرة زوتشيه وما هو واقع كوريا الاشتراكية؟

١) شعب يحرك التاريخ

"إيمينويتشون" أي اعتبار الشعب كالسماء

ظل البشر يعبدون السماء منذ أقدم العصور، معتبرينها "منقذا مطلقا وحيدا"، أو "مخلصا" لمصيرهم.

كان الأقدمون يقدسون السماء ككائن مطلق يقرر سعود الإنسان ونحوسه وحظه السعيد وحظه العاثر، وقام المتدينون في الحقبة الإقطاعية بمنهجة وتبرير التعاليم الدينية، مستعينين بوعي الناس لعبادة السماء.

وادعى حكام المجتمع الاستغلالي بأنهم "رب" أو "إمبراطور" ينقذ مصير الناس، بوحي من تعاليم السماء. لكن الكائن العظيم للتاريخ، منقذ مصيرهم ذا المعرفة والقدرة الكلية لم يكن "ربا" ولا ملكا.

إذن، أ ليس ثمة كائن مطلق الفعالية كالسماء، يصنع المجتمع والتاريخ، وينقذ مصير الناس؟

هناك كتاب يجد طريقه إلى أيدي كثير من القراء ليس في كوريا فقط وإنما في العالم كذلك وهو يثير أصداء واسعة بينهم.

ها هي ذا مذكرات الزعيم العظيم للشعب الكوري كيم إيل سونغ "في دوامة القرن".

هذه المذكرات التي ما زال الناس في العالم يصفونها اليوم بـ"الكتاب الكامل لشمس البشرية"، و"الكنز الخالد للثورة الكورية والكتاب

التعليمي للثورة"، تتضمن بأسلوب حي مسارات النضال الثوري المناهض لليابان، الذي قاده الرئيس كيم إيل سونغ.

صدر الجزء الأول من هذه المذكرات "الثورة المناهضة لليابان"، الذي يتألف من ٨ مجلدات، إلى غاية حزيران/ يونيو عام ١٩٩٨، فما إن خرج إلى حيز الوجود حتى أحدث أصداء كبيرة بين الناس في العالم.

لم تكد تمضي ٦ أشهر على صدورها إلا وتسابقت أكثر من ١٥٠ وسيلة من الوسائل الصحافية والإعلامية في ٦٠ بلدا ونيفا بالعالم في نشر الأخبار عن نظام تشكيل المذكرات والنصوص الكاملة من أبوابها وفصولها، ومضامينها المفصلة، وتم طبعها بمئات آلاف النسخ بعد ترجمتها إلى ١٤ لغة. أفادت المصادر الأجنبية بأن هذا الكتاب "سجل مرتبة أولى بلا منازع، متغلبا على الكتب الأخرى" من حيث عدد انتشاره.

طوال أكثر من ٢٠ سنة مضت، أجريت دراسة هذه المذكرات وانتشرت فيما يربو على ١٧٠ بلدا من البلدان، وتم طبعها بأكثر من ٢٠ لغة في عشرات البلدان.

لماذا، إذن، تثير هذه المذكرات أصداء كبيرة بين الناس في العالم؟

ذلك لأنها تروي بقصص مؤثرة طول حياة الزعيم العظيم كيم إيل سونغ الذي كان يعتبر "إيمينويتشون" أي اعتبار الشعب هو السماء كأسمى مبدأ في حياته، وشاطر الشعب السراء والضراء متخذا إياه كأعلى كائن، كائن أشبه بالسماء.

كتب الزعيم العظيم كيم إيل سونغ ما يلي في مذكراته "**في دوامة القرن**":

"لقد كان معتقدي وإيماني دائما هو‹ إيمينويتشون›، أي اعتبار الشعب هو المساء. إن المبدأ الزوتشي الداعي إلى اعتبار الجماهير

الشعبية سيدة للثورة والبناء والاعتماد على قواها، هو مذهبي السياسي المعبود، وعقيدتي الراسخة التي جعلتني أنذر حياتي لمصلحة الشعب."

في الماضي السحيق، كان الناس يعتبرون السماء خالقا ذا قوة سحرية وغير محدودة، ومدبر جميع الأشياء في الكون.

يعني كلام "إيمينويتشون" في النهاية أن الشعب، لا أي كائن سحري أو قوة عجيبة هو بالذات مسيطر على العالم ومحوله، وسيد الثورة والبناء والقوة المحركة لهما.

بهذا المعنى، يمكن القول إن فكر الرئيس كيم إيل سونغ، فكر "إيمينويتشون" هو قمة النظرة إلى الشعب والموقف منه.

نظرا لأن هذا الفكر يشكل أساس فكرة زوتشيه، تنشر هذه الفكرة ضياءها المشرق في العالم بكونها مذهبا ثوريا خالدا بالفعل لتحقيق استقلالية جماهير الشعب العامل وذروة للفكر القاضي بحب الشعب واحترامه.

في جميع أنظمة فكرة زوتشيه ومضامينها، يتجسد فكر "إيمينويتشون"، الذي اتخذه الزعيم العظيم كيم إيل سونغ كأسمى مبدأ له طيلة حياته.

إذن، من هو الشعب الذي كان يبجله كالسماء؟

"ترى من هو الشعب؟"

نورد فيما يلي إحدى الوقائع التي حدثت في كوريا وهي تدل على نوعية "الشعب".

حين تحرر الشعب الكوري لتوه من براثن الاحتلال العسكري للإمبرياليين اليابانيين، جاءت إلى كوريا بعثة التقصي المشتركة التي شكلها الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة، وذلك لبحث أي نوع من المجتمع يصلح لإقامته في هذا البلد المحرر.

أثناء إقامة هذه البعثة هناك، سعت لـ"تقصي" ميول الشعب بشأن بناء مجتمع جديد في كوريا. كشكل من أشكال هذا التقصي، دار الحديث بين الممثلين الأمريكيين والكوريين، وفي هذا السياق، ألقى الممثل الأمريكي كلمة مطولة عما يسمى "الديمقراطية الأمريكية"، أكد فيها بإسهاب أمام الناس على أن المجتمع الأمريكي "مجتمع متفوق" يمنح الشعب الحريات، ويوفر له "الحياة المادية الثرية".

آنذاك، سأله مدققا أحد ممثلي الفلاحين الكوريين الذي كان ينتظر اختتام كلامه الخلاب:

"قلتم إن المجتمع الأمريكي أفضل. هل أعطيتم، إذن، الفلاحين الأراضي الزراعية؟"

إذا بوجه الممثل الأمريكي احمر حتى شحمتي أذنيه وبقي مترددا دون أن يجد جوابا عن السؤال. بيد أن ممثل الفلاحين وجه له باستمرار سؤالا آخر:

"هل ينص قانون بلدكم على مادة خاصة بمنح النساء حقوقا متساوية مع الرجال؟"

لم يرد الممثل الأمريكي على هذا السؤال أيضا. ذلك لأن مادة ضمان المساواة بين الجنسين لم تكن في أي قانون من القوانين الأمريكية التي أعلنت أمام العالم أنها قوانين تنادي بمساواة جميع الناس.

عندئذ، أعاد ممثل الفلاحين طرح سؤال:

"تقولون إن المجتمع الأمريكي مجتمع صالح للشعب. إذن، من هو الشعب، ما عدا العمال والفلاحين والنساء؟"

لهذا السؤال، عقد لسان الممثل الأمريكي بشكل كامل.

لم يكن يستطيع أن يجيب على سؤاله، لأن "الشعب" في نظره قلة

قليلة من الرأسماليين، بينما كان الشعب يعني، في نظر ممثل الفلاحين، العمال والفلاحين وسائر الفئات العريضة التي تضم المثقفين. من خلال المقارنة بين ما لدى الممثل الأمريكي من المفهوم عن الشعب وما لدى ممثل الفلاحين منه، يمكننا أن نجد جوابا صحيحا نسبيا عن الشعب.

إذن، ما هو تعريف فكرة زوتشيه عن الشعب؟

كتب القائد العظيم كيم جونغ إيل ما يلي في مؤلفه المعنون بـ"**الاشتراكية علم**" الذي أصدره في اليوم الأول من تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩٩٤:

"إن جماهير الشعب هي جماعة اجتماعية متلاحمة من الناس، تتخذ الشغيلة أساسا لها، ويوحد الجميع فيها التطابق في متطلباتهم المستقلة ونشاطاتهم الإبداعية."

إن الشعب الحقيقي في المجتمع الذي يعيش فيه عدد كبير من الناس جماعات هو من يعملون، والناس الذين لا يقومون بالنشاطات الخلاقة وفقا لمطالبهم المستقلة، لا يستطيعون أن ينضموا إلى صفوف الشعب.

هذه هي نظرة فكرة زوتشيه إلى الشعب، وأساسها. هاتان النظرة والموقف لا تناسبان للتاريخ والواقع فحسب، بل وهما تعبير عن الموقف الأساسي لفكرة زوتشيه التي تضع جماهير الشعب في الصدارة.

لنر، إذن، تشكيلة جماهير الشعب.

في الحقيقة، ليس من اليسير تمييز جماهير الشعب عن غيرها في الواقع الاجتماعي، لأن تشكيلة جماهير الشعب تغيرت باستمرار على مدار التاريخ.

مثلا، تختلف تشكيلة جماهير الشعب في المجتمع الاستغلالي اختلافا جوهريا عما في المجتمع الاشتراكي.

إن جماهير الشعب في المجتمع الاستغلالي تشتمل على وجه العموم على الفئات الغفيرة التي تضطهدها وتحتقرها قلة قليلة من المستغلين والمسيطرين، أما في المجتمع الاشتراكي الذي قضى فيه على الاستغلال والاضطهاد، فتشكل جميع الطبقات والفئات جماهير الشعب.

إذن، كيف يمكن تمييز جماهير الشعب عن غيرها بدقة في مختلف أنواع المجتمعات المتغيرة باستمرار وفي المجتمع المؤلف من المجموعات الاجتماعية الكثيرة؟

هذا ما لا يمكن تحقيقه إلا عند تحديد المعيار الأساسي لذلك بصواب.

تتضمن مذكرات الرئيس كيم إيل سونغ **"في دوامة القرن"** جزءا يتذكر تشانغ وي هوا المناضل الأممي الصيني من أصل البرجوازي (١٨ كانون الثاني/ يناير ١٩١٣ - ٢٧ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٣٧)، وفيما يلي قطعة منه:

"لم أقوم الناس منذ طفولتي على أساس ثرواتهم وممتلكاتهم. وقد كان معياري لتقويم الناس هو مدى حبهم للإنسان والشعب والوطن. وحتى إذا كانوا أغنياء، ولكنهم يحبون الوطن والشعب، كنت أعتبرهم صالحين. أما من لا يحبون الوطن والشعب فقد كنت أعتبرهم أشرارا، حتى ولو كانوا بروليتاريين. وبكلمة واحدة، كنت أقوم الناس حسب أفكارهم أولا."

بناء على تعليماته، يمكن اعتبار أن المعيار الأساسي الذي يميز جماهير الشعب عن غيرها هو فكر المرء ونظرته إلى العالم، لا منشأه الاجتماعي.

طبعا إن عبارة "جماهير الشعب" تعكس علاقات الطبقات الاجتماعية لوجود الطبقات في كل مجتمع. ومع ذلك، لا يجوز رؤية الناحية الطبقية وحدها بنظرة وحيدة الجانب.

فكر المرء وأفعاله لا تتأثر بالوضع الاجتماعي والطبقي وحده. يمكن للناس أن يخدموا جماهير الشعب، إذا تلقوا تأثيرا ثوريا، واستوعبوا فكرا تقدميا، مهما يكن وضعهم الاجتماعي والطبقي.

الفكر يشبه منارة. مثلما تهتدي السفينة إلى الطريق بواسطة المنارة، كذلك يهتدي المرء إلى طريق حياته بفعل فكره.

على أساس هذه العلاقات، نتوصل إلى استنتاج مفاده أن حتى الأفراد الذين ينتمون إلى الطبقة الاستغلالية يمكنهم أن يغدوا أبناء جماهير الشعب، إذا انطلقوا إلى النضال الثوري متحلين بالفكر المستقل، وبالعكس، يغدو الناس، حتى ولو انحدروا من أصل الطبقة العاملة، خونة بحق الثورة والشعب، ويصبحون عدوا لهما، إذا أصيبوا بالفساد فكريا.

من هنا، ينبغي اعتبار أن المعيار الأساسي الذي يحدد ما إذا كان المرء فردا من جماهير الشعب أم لا يكمن في نوعية فكره، لا أصله الاجتماعي والطبقي.

إذن، يطرح سؤال هل يكون أي فكر عاملا أساسيا يحدد جماهير الشعب.

الفكر الذي أثر في نشاط الناس عبر التاريخ لم يكن واحدا أو اثنين. ذلك الفكر الذي يجعل المرء فردا من جماهير الشعب هو أولا الفكر الاشتراكي، إذ أنه فكر ثوري مستقل يعكس المطالب المستقلة لجماهير الشعب بشكل أكثر صوابا.

كل من ذوو الفكر الاشتراكي يستطيعون أن يغدوا أفرادا جديرين من جماهير الشعب، بغض النظر عن أصلهم الطبقي أو محل سكنهم.

ومع ذلك، لا يجوز هنا التهاون في مسألة واحدة هي أنه لا يجوز

اعتبار أن ذوي الفكر الاشتراكي هم وحدهم قادرون على أن يكونوا أبناء جماهير الشعب.

إن الفكر المحب للوطن والأمة والشعب يكون بدوره، إلى جانب الفكر الاشتراكي، أساسا فكريا يوحّد الناس كأبناء جماهير الشعب. ذلك لأنه فكر مستقل يحب ويعتز باستقلالية البلاد والأمة وجماهير الشعب، وكل من يملك هذا الفكر يستطيع أن يخدم الوطن والأمة والشعب، ويغدو فردا من أفراد جماهير الشعب. ولذلك، يكون الفكر الحقيقي المحب للوطن والأمة والشعب هو الآخر أساسا فكريا يوحّد أبناء المجتمع في مصاف جماهير الشعب.

الشعب هو الذات الفاعلة للتاريخ

تحدد فكرة زوتشيه الشعب الذي يعتبر كالسماء، في صيغة الذات الفاعلة للتاريخ.

الذات الفاعلة للتاريخ تعني من يضطلع بإطلاق الحركة التاريخية الاجتماعية ودفعها قدما بصورة هادفة وواعية.

جماهير الشعب هي الذات الفاعلة للتاريخ والمضطلع به.

قال القائد العظيم كيم جونغ إيل:

"جماهير الشعب هي الذات الفاعلة للتاريخ الاجتماعي."

يمكن تعليل كون جماهير الشعب ذاتا فاعلة للتاريخ بسببين، أولهما هو أن جميع التغيرات التاريخية الاجتماعية الماضية نفذتها جماهير الشعب.

جاءت أعداد كبيرة من التغيرات الاجتماعية التقدمية على مدار التاريخ، مثل نضال تحرير العبيد والنضال المناهض للإقطاعية والثورة الاشتراكية، بفعل نضال جماهير الشعب.

والسبب الآخر هو أن جميع الأشياء في المجتمع تخلقها جماهير الشعب التي تملك مواهب وقوة خلاقة لا ينضب معينها.

حين كان الزعيم العظيم كيم إيل سونغ على قيد الحياة، قال دائما إنه إذا كان ثمة في هذه الدنيا كائن صاحب المعرفة والقدرة الكلية، فما هو إلا جماهير الشعب، وكان يتوجه على الدوام إلى أعماق الشعب، وكلما واجه المخاطر العصيبة، استمد قوة من جماهير الشعب، وتغلب على تلك المخاطر اعتمادا عليها.

لذلك، يشيد به أبناء الشعب الكوري واصفين بأنه "زعيم عظيم للشعب"، وأن طول حياته هي "حياة مبذولة للشعب".

مثلما كان الرئيس كيم إيل سونغ يتخذ اعتبار الشعب كالسماء مبدأ في طول حياته، ليس ثمة في الدنيا كائن أقوى من جماهير الشعب من حيث المواهب والقوة الخلاقة.

ولكن يوجد ما لا بد من تأكيده هنا هو أن جماهير الشعب هي وحدها الذات الفاعلة للتاريخ، ولا يمكن لفرد من الأفراد أن يكون ذاتا فاعلة للتاريخ، لأن ذكاءه وقوته محدودتان.

لا تبقى قدرة الأفراد متدفقة وخالدة مثل ينبوع الماء الذي لا تجف مياهه.

كما لا يمكن للطبقة الاستغلالية الرجعية أن تكون ذاتا فاعلة للتاريخ، إذ أنها رجعية بالنسبة للتاريخ، لا ذات فاعلة، وكذلك تعيده إلى الوراء وتتسبب في تدمير الإبداعات.

إذا نظرنا إلى التاريخ، فنجد أن الخيرات الاجتماعية الهائلة أصيبت بالخراب والدمار، وأن المجتمع الذي كان يتقدم إلى الأمام تراجع بعشرات أو مئات السنين، من جراء الحروب العدوانية التي أشعل أفراد تلك الطبقة نيرانها.

كانوا يسيرون عكسا للتاريخ، ويبدّدون ويحرقون قدرا هائلا من الثروات الاجتماعية القيمة ونتيجة لذلك، لم تبق لهم إلا وصمة بأنهم رجعيون.

ومن أبلغ الأمثلة عليهم قيصر ديكتاتور روما القديمة، ونابوليون إمبراطور فرنسا في القرن التاسع عشر، وهتلر بألمانيا الفاشية وموسوليني بإيطاليا الفاشية في القرن العشرين، الذين كانوا يتحكمون بكل الأشياء بعد أن تربعوا على قمة التاريخ ورؤوس جماهير الشعب، لكنهم لم يستطيعوا في النهاية المحافظة حتى على مصيرهم.

مازال الحكام الرجعيون لا يدعون فرصة سانحة إلا ويعمدون إلى تحريض الناطقين بلسانهم ليصفوهم بأنهم حكام عظماء وأمثالهم ولكن، في الواقع، ليس لديهم أي قوة أو إرادة لصنع المجتمع. إذا كان لهم شيء ما، فليس ذلك إلا "قدرة" مزعومة على السيطرة على العالم واضطهاد جماهير الشعب، وجشع للثروات.

وكذلك تتواصل اليوم الدعاية المضللة التي يلجأ إليها الرجعيون البرجوازيون، مشيدين بالطبقة الاستغلالية والرجعيين الموالين لها، وضاربين عرض الحائط بالحقيقة العظيمة القائلة بأن جماهير الشعب هي الذات الفاعلة للتاريخ، لكن صور ضعفهم ما برحت تتعرى أمام حقيقة التاريخ.

٢) لماذا كانوا عرضة للنكبات المأسوية؟

سردنا حتى الآن أن جماهير الشعب هي الذات الفاعلة للتاريخ الاجتماعي.

ومع ذلك، إذا استعرضنا الوقائع التاريخية الماضية، نرى أن

جماهير الشعب لم تكن تؤدي مكانة ودورا جديرين بالذات الفاعلة للتاريخ. تدل على ذلك حقيقة أن جماهير الشعب فرض عليها في المجتمع الاستغلالي الماضي المصير البائس من جانب الطبقة الاستغلالية، على اعتبارها مستهدفا للتاريخ، لا ذاتا فاعلة للتاريخ.

قال القائد العظيم كيم جونغ إيل ما يلي في أطروحة "**في فكرة زوتشيه**" التي أصدرها في يوم ٣١ من آذار/ مارس عام ١٩٨٢:

"في المجتمع الاستغلالي في الماضي ... مما أدى إلى حرمانها من الحقوق من قبل حفنة من الطبقة الحاكمة وإلى تعرضها للاستغلال والاضطهاد من جانبها، وإلى عدم احتلالها مكانة جديرة بسيدة المجتمع."

ذلك البؤس لجماهير الشعب التي كانت مستهدفا للتاريخ، لا ذاتا فاعلة له، يجد تعبيرا عنه في أوضاع الشعوب بعدد كبير من بلدان العالم والتي أجبرت على حياة العبيد في المستعمرات. كما أن ذلك سيتيح للناس أن يدركوا كيف يجب أن تعمل جماهير الشعب لكي تكون ذاتا فاعلة حقيقية ومستقلة للتاريخ تصوغ مصيرها بصورة مستقلة وخلاقة.

حزن الأمة المستعمرة

من الطبيعي أن الإنسان يعاني في حياته شتى أنواع الأحزان، ولكن يمكن القول إن أكبر الأحزان هو حزن المنفي المحروم من الوطن، وحزنه لفراق الوطن.

نقدم فيما يلي أغنية "آريرانغ" التي كان الشعب الكوري يغنيها في أوائل القرن العشرين:

آريرانغ، آريرانغ، آراريو
آريرانغ يعبر حبيبي التل

لكنه سيصاب بالمرض في قدمه
قبل أن يقطع عشرة ري
ما دام يغادرني وراءه

تصف الأغنية الحبيبة التي تغني حنينا إلى حبيبها الذي يهجرها إلى أرض الغربة بحثا عن سبيل الحياة، يعتريه حزن حرمانه من الوطن على أيدي الإمبرياليين اليابانيين.

هناك في العالم عدد كبير من الناس الذين هاجروا من الوطن وعاشوا في أرض الغربة، مغنين أغنية الحنين إلى الموطن. لماذا اضطروا إلى المغادرة إلى أرض الغربة التي لا يستدعيهم ولا يرحب بهم أحد فيها، تاركين وراءهم وطنهم العزيز الذي ولدوا وترعرعوا فيه.

هذا هو مصير الأمة المستعمرة.

تعني المستعمرة بلدا أو منطقة احتلها الغزاة الإمبرياليون، وانتزعوا منها السيادة بأكملها، ويستعبدونها ويسيطرون عليها بشكل كامل من النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية.

من جراء نشوء المستعمرات، انزلقت جماهير الشعب إلى حالة أكثر بؤسا تجبرها على معاناة العبودية القومية، إلى جانب مختلف أنواع الاضطهاد الطبقي، بعدما تعرضت للنكبات لقرون طويلة، متقيدة بأغلال العبودية وأصفاد التبعية الناجمة عن المراتب الاجتماعية، والرساميل.

إن القارة الأفريقية التي تحتل خمس مساحات اليابسة العالمية، تحولت سدس أراضيها إلى مستعمرات حتى عام ١٨٧٦، واحتل الإمبرياليون تسعة أعشار أراضيها حتى عام ١٩٠٠.

ففي أفريقيا التي تحولت إلى قارة المستعمرات بكل معنى الكلمة، اقتيد نحو ٩,٣٩ مليون رقيق إلى أمريكا من عام ١٤٥١ إلى عام

١٨٧٠، بواسطة النخاسة. وعلى ذلك، لم يبلغ عدد سكان أفريقيا إلا ٧,٧ بالمائة من سكان العالم في أوائل القرن العشرين، رغم أن عدد سكانها وصل إلى ٢٠ بالمائة في القرن السابع عشر. لحرمان أفريقيا من هذا العدد الهائل من "الرجال الأشداء"، ما زالت تتأثر اليوم بالعواقب الخطيرة المترتبة على ذلك.

فيما يتعلق بالمصير البائس لشعوب البلدان المستعمرة، لا يسعنا إلا أن نتطرق إلى مصير شعوب البلدان الآسيوية أيضا.

في قارة آسيا بوصفها قارة شروق الشمس، التي ازدهرت فيها لأول مرة في العالم حضارة نهر دايدونغ بكوريا، والحضارة الهندوسية بالهند، وحضارة هوانغهوا بالصين، في أقدم العصور، بدأ الاستعماريون الإنكليز يفرضون على شعوبها مصير عبيد المستعمرة، عبر تأسيس "شركة الهند الشرقية" وهي أول شركة استعمارية في الهند. ادعى أولئك الاستعماريون بأنهم أعلى حكام ومالكي أراض زراعية في الهند، واستغلوا الشعب الهندي بقسوة قل نظيرها، من خلال ربطهم ما بين طريقة الاستغلال الرأسمالي وطريقة الحكم الآسيوي التقليدي.

في علم التاريخ، يسمى القرن التاسع عشر بـ"قرن الهجرة" على نطاق الكرة الأرضية.

وكان مركزها هو بالضبط الصين والهند. بناء على الإحصاءات الحالية، يبلغ عدد الصينيين المغتربين نحو ٣٠ مليون شخص، وانتشروا في أكثر من ١٢٠ بلدا في قارات العالم الخمس.

هناك في العالم عدد كبير من البلدان والأمم التي فرض عليها مصير عبيد المستعمرة، لكن تاريخ البشر لم يعرف أمة مثل الأمة الكورية التي تعرضت للحكم الشرس الاستثنائي طوال أكثر من أربعين سنة، بجريرة

السيطرة الاستعمارية القاسية من طرف الإمبرياليين اليابانيين.

في يوم ١٧ من تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩٠٥، لفق الإمبرياليون اليابانيون "معاهدة وولسا ذات البنود الخمسة" العدوانية والاستعبادية، وبذلك، انتزعوا سيادة كوريا بشكل كامل، وحولوها إلى مستعمرة لهم.

وبعد احتلالهم لكوريا، لجأوا إلى الحكم العسكري المستند إلى البنادق والسيوف، حتى حولوا هذا البلد إلى سجن كبير واحد، وجرّدوا الكوريين من جميع الحقوق السياسية والاقتصادية والثقافية ولهذا فقد وجدت الأمة الكورية نفسها على مفترق الطرق لبقائها على الوجود أم هلاكها.

من جراء الحكم والنهب الاستعماريين الذي اقترفه الإمبرياليون على نطاق العالم، فضلا عن كوريا، توارى عدد كبير من الأمم في العالم عن مسرح التاريخ، وكانت البقية منها على حافة الدمار. بيد أن الشعوب في المستعمرات لم تكن تبقى مكتوفة الأيدي أمام العبودية الاستعمارية.

كما قال الزعيم العظيم كيم إيل سونغ: **"حيثما كان هناك اضطهاد هناك مقاومة وهذا هو قانون"**، انطلقت الشعوب في المستعمرات إلى النضال الوطني للدفاع عن استقلاليتها، بتفجير غضبها وسخطها المتراكمين.

"المقاومات الثلاث في آسيا"

كانت السنوات التي عاشها عدد كبير من البلدان والأمم في العالم، منذ تحولها إلى مستعمرات أو عبيد للإمبرياليين، هي عهود نكبة وظلام ومجاعة بالنسبة لجماهير الشعب.

من هنا، لم تعد جماهير الشعب تستطيع قبول عهود المأساة كما هي عليه، حتى انطلقت إلى النضال لمقاومة المستعمرين والإطاحة بالنظام الاستعماري.

قال القائد العظيم كيم جونغ إيل:

"إن مجرى المجتمع الطبقي هو بأكمله تاريخ النضال الحاد الذي تدور رحاه بين صنعة التاريخ وأولئك المرتدين به إلى الوراء، بين سيد الثورة ومستهدفها، وبكلام آخر بين جماهير الشعب العامل والطبقة الاستغلالية الرجعية."

كانت الأحداث الاستثنائية في تاريخ نضال التحرر الوطني في العالم، الذي رد بالمقاومة المستميتة على العدوان والنهب الاستعماريين من جانب الإمبرياليين، هي المقاومات الثلاث في آسيا، أي حرب كابو الفلاحية في كوريا عام ١٨٩٤، وحرب تايبينغ الفلاحية بالصين بين عامي ١٨٥١ - ١٨٦٤، وتمرد السيباهي في الهند بين عامي ١٨٥٧- ١٨٥٩.

يمكن القول إن هذه المقاومات الثلاث دقت الجرس إيذانا ببدء نضال التحرر الوطني المناهض للإمبريالية بآسيا في القرن التاسع عشر. هذا القرن الذي شهد هذه المقاومات الثلاث في آسيا أظهر جليا لأول مرة أمام العالم أن الأمم في المستعمرات لم تكن تموت، ولا يمكن القضاء بأي شيء على روح استقلالية الأمة.

بالتواقت تقريبا مع بداية حرب تايبينغ الفلاحية بالصين، قام تمرد السيباهي بالهند، وتلته حرب كابو الفلاحية بكوريا الإقطاعية الواقعة في الشرق الأقصى من آسيا.

في ذلك الحين، صارت كوريا التي أبقت أبوابها مغلقة لمئات السنين، مع ضآلة قوتها الوطنية إلى أقصى حد، موضع المآرب العدوانية لدى الدول الكبرى التي يسيل لعابها لابتلاعها وقد أعماها التعطش إلى الثراء اللانهائي وتوسيع الأراضي.

فقد راحت الدول الرأسمالية الكبرى في العالم مثل الولايات المتحدة

وانكلترا وفرنسا تتسابق في الانقضاض على كوريا كوحوش جائعة لابتلاعها في لقمة.

في هذه الفترة بالذات، أشعل جون بونغ جون ابن أحداث كابو الصاخبة بجرأة نيران حرب كابو، رافعا راية "دعم البلاد وضمان رفاهية الشعب"، و"مناهضة القوى الغربية واليابانية"، حتى بلغت هذه الحرب ذروة نضال الشعب الكوري المناهض للإقطاعية والعدوان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، من حيث نطاقها وشدتها.

أصلا، قامت انتفاضة الفلاحين ضد الجور الإقطاعي، ولكنها تحولت إلى حرب التحرر الوطني التي تتميز بالطابع المعادي للعدوان، من جراء إرسال بلد تسينغ قواته المسلحة إلى كوريا والتدخل المسلح للإمبرياليين اليابانيين. انتشر لهب النضال بالسرعة القصوى في أنحاء البلاد، مما أدى إلى استنهاض الشعب الكوري الذي كان يئن تحت وطأة الإقطاعية وأوشك أن يداس بأقدام القوى الخارجية ليظهر روح استقلالية الأمة. لكن هذه الحرب التي اشتد أوارها بمشاركة ٢٢٧ ألف شخص وهي تهز أنحاء البلاد، انتهت بالفشل في النهاية بسبب تدخل اليابان وتسينغ وضعف قادتها.

ومن جهة أخرى، قام تمرد السيباهي بالهند في شهر أيار/ مايو عام ١٨٥٧، وكان السبب وراءه هو إجبار الهندوسيين الذين يعبدون الثور ولا يأكلون دهونه على فض أكياس الذخائر المطلية بها بالأفواه. كان تصرف الاستعماريين الانكليز هذا إهانة لا تطاق لديانة الهند القومية. أثارت هذه الإهانة سخطهم الذي تحول إلى مقاومة شديدة. انتشرت المقاومة العارمة للشعب الهندي كالنار في الهشيم، حتى شملت أنحاء البلاد بسرعة البرق.

أمام هذه الحالة، أدرك الحكام الانكليز مجيء أزمة خطيرة في سيطرتهم الاستعمارية على الهند، فجلبوا عددا كبيرا من قواتهم المسلحة من أراضيهم، وقمعوا التمرد بوحشية. رغم أن التمرد باء بالإخفاق، لكن تأثيره كان كبيرا. نتيجة لذلك التمرد، طرأت تغيرات كبيرة على سيطرة انكلترا على الهند، وعلى العلاقات بين أوروبا وآسيا على النطاق الواسع.

فقد حلت "شركة الهند الشرقية" وهي ألد أعداء الشعب الهندي، في اليوم الثاني من آب/ أغسطس عام ١٨٥٨، حتى نزل ستار نهبها الذي دام نحو قرنين والنصف.

أما حرب تايبينغ الفلاحية فقد قامت بالصين في أواسط القرن التاسع عشر، نتيجة لتدهور الأحوال المعيشية لجماهير الشعب من جراء الاستغلال الإقطاعي القاسي من الحكام الإقطاعيين وتوارد كميات هائلة من السلع الرأسمالية الأجنبية إلى داخل البلاد.

أعدّ العدة لهذه الحرب وقادها هونغ سيو تشوان (١٨١٤ ـ ١٨٦٤) من أصل الفلاح وجمعية "شانغ دي هوي" (جمعية الملك السماوي) التي شكلها. بعد أن فجر انتفاضة مسلحة بقيادة جماهير الفلاحين، أعلن إقامة "مملكة تايبينغ السماوية".

ما لبثت أن نمت قوات انتفاضة تايبينغ الفلاحية حتى أصبحت قوى كبيرة، وسحقت الجيش الحكومي الإقطاعي في شتى المناطق. في البداية، كان جيش المنتفضين يقل عن ٢٠ ألف شخص، لكنه نما ليصبح قوات كبيرة تعدادها مليون شخص بعد احتلال ننكين.

لكن هذه الحرب التي استمرت ١٤ سنة، منيت بالفشل في النهاية.

بمناسبة هذه المقاومات الثلاث، صار نضال التحرر الوطني في المستعمرات يدخل مرحلة جديدة بالتدريج في آسيا، وفي نفس الوقت،

كـان نضـال التحـرر الـوطني فـي العـالم هـو الآخـر يسـتقبل عهـد تحـول جديد. إلا أن جماهير الشعب وجب عليها أن تقطع طريقا بعيدا ووعرا، مـن أجـل وضـع حـد للحكـم الاسـتعماري مـن جانـب القـوى الرأسـمالية الكبرى، وإيجاد طريق التقدم الحقيقـي لنضـالها، وإقامـة بلـد تصـبح فيـه سيدا أصيلا للمجتمع.

حالة اليتيم اللطيم

حين نعود بذاكرتنا إلى نضال التحرر الوطني في المستعمرات، الـذي تقدم إلى الأمام تاركا وراءه كثيرا من آثار الدماء، تـاريخ المآسـي الملـيء بالعثرات والعذابات أكثر من الانتصار والفرح، ونراجع دروسها بتعقل، ماذا نشعر به؟

إننا نجد تشابها وقواسم مشتركة فـي النضـالات الماضـية مثـل نضـال تحرير العبيد والنضال المناهض للإقطاعية والنضال ضد الرأسمالية.

علينــا أن نــرى أخطــاء مشــتركة فــي جميــع الإخفاقــات المتكــررة باستمرار، لا مرة أو مرتين، وفـي الفتـرات التاريخيـة الطويلـة، لا فتـرة تاريخية واحدة.

قال القائد العظيم كيم جونغ إيل:

"إذا كـان لا بـد لجمـاهير الشـعب أن تحتـل مكانتهـا وتـؤدي دورهـا علـى وجه تام بصفتها الذات الفاعلة للتاريخ، فإنه من الواجب أن تـرتبط القيـادة بالجماهير. وبالرغم من أن جماهير الشعب هي صانعة التـاريخ، فلـيس فـي مقـدورها أن تحتـل مكانتهـا وتـؤدي دورهـا علـى وجـه كـاف بصـفتها ذاتـا فاعلة لتطور التاريخ الاجتماعي إلا عندما تحظى بالقيادة الصائبة."

ارتباط القيادة بالجماهير

طرحت هذه القضية دائما في سياق نضال الشعوب، لكنها كانت مسألة مشتركة لم يعطها أحد حلولا صائبة على مدار التاريخ. في الواقع إن معالجة هذه القضية أصبحت، بالنسبة لجماهير الشعب، حلقة حاسمة تقرر نجاحا أو إخفاقا في كافة أنواع نضالها.

بما أن هذه القضية لا يمكن إهمالها إطلاقا، نظرا لدورها الأشبه ببوصلة السفينة، كانت جماهير الشعب تمعن التفكير فيها مطولا، لكنها لم تعالجها حتى في مرحلة نضال التحرر الوطني في المستعمرات.

على ذلك، رغم أن جماهير الشعب المضطهدة حققت في المجتمعات الاستغلالية تغيرات اجتماعية حادة، مثل الإطاحة بمجتمع الرق والمجتمع الإقطاعي، انتقلت جميع تلك الثمار إلى متناول الطبقة الحاكمة، وسار المجتمع والتاريخ أساسا حسب إرادة الطبقة الاستغلالية، لا إرادة جماهير الشعب.

يعود هذا السبب كله إلى أن قضية ارتباط القيادة بالجماهير لم تعالج كما ينبغي.

حيثما لا توجد قيادة صائبة، تبرز الطبقة الاستغلالية "كقائد"، وتتلاعب بمصير جماهير الشعب. هذا قانون.

إذا ألقينا نظرة على التاريخ الماضي، فمن البديهي أن أصحاب الرقيق والحكام الإقطاعيين كانوا مستغلين لجماهير الشعب ومسيطرين عليها، لا منقذي مصيرها، ولم يستثن منهم البرجوازيون.

في الواقع، إن الطبقة الاستغلالية اشتركت في النضال الرامي إلى قلب المجتمع البائد، جنبا إلى جنب مع جماهير الشعب، ولكن بعد استيلائها على مقاليد السلطة، خانت بحق جماهير الشعب، "صديقها

القديم"، وأقامت مجتمعا يتيح لها أن تحقق مصالحها فقط، لا مطالب جماهير الشعب العامل، وتعيش لوحدها حياة هانئة.

كان مجتمع الرق والمجتمع الإقطاعي والمجتمع الرأسمالي وغيرها من جميع المجتمعات جنة لحفنة من المستغلين، وبالعكس، جهنما لجماهير الشعب.

هكذا، ظلت جماهير الشعب تعيش حياة بائسة لقرون طويلة، معانية الإهانة والعار والإهمال الاجتماعي كما لو أنها يتيم مسكين ينبذه المجتمع فيرتجف بردا أمام الرياح الشديدة بلا مأوى، خارج سياج بيت الآخر.

من الطبيعي أن يحن اليتيم إلى أمه. في الأيام الماضية، لم تكن لجماهير الشعب في أي مكان أم ترعاها وتحتضنها بدفء، ولا حاميها ولا منقذ مصيرها. متى إذن سيظهر على حلبة التاريخ، ذلك الرجل العظيم الذي سيضع حدا لتاريخ المآسي المليء بالعثرات لدى جماهير الشعب التي اجتازت تلال التاريخ العسيرة والمضرجة بالدماء والضحايا، ويوفر لها الحياة الجديدة المستقلة والخلاقة الجديرة بسيد التاريخ؟

قد صرخ آن جونغ كون (٢١ أيلول/ سبتمبر ١٨٧٩ - ٢٦ آذار/ مارس ١٩١٠) الشهيد الكوري الوطني المناهض لليابان، حين صدر عليه حكم بالإعدام، بتهمة الإجهاز على إيتو هيروبومي الزعيم الياباني لعدوان كوريا:

"لم يكن ثمة ذلك الرجل العظيم، ذلك البطل الذي يجدر بقيادتي. يا ليتني أرى ولو مرة واحدة ذلك الرجل العظيم الفريد الذي سينقذ أمتنا ويبرزها عن جدارة أمام العالم، تلك التي تتعرض للإذلال والاحتقار، رغم أن تاريخها يعود إلى خمسة آلاف سنة... آه، متى سيظهر ذلك البطل؟"

على الشعب أن يحظى بالزعيم

كل من يبصر النور في الدنيا ينال حياته من أمه، وهي ذات فضل في حياة الأبناء، إذ تضعهم وتربيهم وتعتني بهم في حضنها الدافئ. حضن الأم هو الذي يمنح الولد الحياة ويقيه من البرد والحر ويرعاه سواء في أوقات العسر أو السرور. لذلك، يشعر الولد بالسعادة الغامرة، إذا كانت الأم إلى جانبه. من هنا، يقولون إن الحياة المعزولة عن حضن الأم، حياة يتيم الأم هي أكثر بؤسا وتعاسة.

نفس الأمر ينطبق على جماهير الشعب.

هناك حكمة القائد العظيم كيم جونغ إيل عميقة المغزى:

"الشعب الذي لا يحظى بالزعيم البارز لا يختلف في شيء عن اليتيم اللطيم."

الزعيم أشبه بالأم بالنسبة لجماهير الشعب، فهو يقودها إلى استعادة كرامتها وسعادتها الحقيقيتين، ويزيدهما بهاء على بهاء، ويمكنها من التمتع بالحياة السعيدة والمثمرة التي تتلاءم مع طبيعة الإنسان المستقل. ذلك لأنه يفتح عيونها، ويوحّدها في كيان واحد.

إذا كانت جماهير الشعب عاجزة في الماضي عن صوغ مصيرها على نحو مستقل وخلاق، رغم كونها الذات الفاعلة للتاريخ، فإن السبب في ذلك يرجع في نهاية المطاف إلى تدني مستوى وعيها وعدم تنظيمها.

لذا، خضعت جماهير الشعب صاغرة للاستغلال والاضطهاد، معتبرة إياهما قدرا محتوما لها، وحتى إذا انطلقت إلى النضال، اضطرت إلى شرب كأس الانتكاس والموت المرة.

إذا أرادت جماهير الشعب أن تؤدي دورها بكونها ذاتا فاعلة للتاريخ، بعد توعيتها وتنظيمها، فعليها أن تتمتع بقيادة القائد، الزعيم الذي يوقظها ويجمع شملها في كيان واحد. مدى رص جماهير الشعب

في قوى واعية ومنظمة ثوريا، ونجاحها في تأدية مسؤوليتها ورسالتها رهن كليا بما إذا كانت تستقبل الزعيم الذي يبدع الفكر ويشكل المنظمة، وتتمتع بقيادته الصائبة أم لا.

إذن، ما هو الزعيم؟

قال القائد العظيم كيم جونغ إيل:

"الزعيم هو ... الدماغ الأعلى المجسد لإرادة جماهير الشعب."

كما يكون الدماغ مركز حياة الأفراد، كذلك الزعيم هو الدماغ الأعلى لجماهير الشعب. الزعيم هو الذي يرص صفوف جماهير الشعب ككائن اجتماعي وسياسي حي واحد من خلال توعيتها وتنظيمها بوصفه الدماغ الأعلى لها، وبذلك، يشكل وحدتها الفكرية والتنظيمية. كما أن الزعيم يؤدي دورا حاسما في صنع مصير جماهير الشعب، باعتباره محورا للتلاحم والقيادة. هذا لا يختلف عن أداء الدماغ دورا حاسما في نشاطات الإنسان.

فيما يتعلق بدور الزعيم، يمكننا أن نعرفه جيدا من خلال تاريخ النضال الثوري الماضي للطبقة العاملة.

كان ماركس وإنغلس، زعيما الطبقة العاملة الأولان اللذان عملا في أواسط القرن التاسع عشر قد طرحا الماركسية، وأوضحا جليا الرسالة التاريخية للطبقة العاملة التي ظهرت لأول مرة على مسرح التاريخ، وطريق التقدم لتحررها، ودفعاها بقوة إلى النضال ضد الرساميل.

وفي الظروف التاريخية الجديدة التي انتقلت فيها الرأسمالية إلى مرحلة الإمبريالية، قدم لينين اللينينية عبر تطوير الماركسية، وألهم الطبقة العاملة وأبناء الشعب قوة وعزما على خوض النضال لتحطيم حصن الإمبريالية وتحقيق حريتهم وانعتاقهم، واستهل الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية.

واستشف الزعيم العظيم كيم إيل سونغ لكوريا الاشتراكية المتطلبات المستقلة للعصر وجماهير الشعب في القرن العشرين بحكمة أكثر من غيره، وأبدع فكرة زوتشيه العظيمة، وأسس حزب العمل الكوري بوصفه هيئة أركان الثورة، وعمل على توطيده وتطويره إلى حزب ثوري يقود قضية الاستقلالية لجماهير الشعب إلى النصر، وبذلك، ارتقى بنضال جماهير الشعب لتحقيق الاستقلالية إلى مرحلة جديدة أعلى، وفتح عصر زوتشيه، عصرا جديدا لتطور تاريخ البشرية.

هذا وقام القائد العظيم كيم جونغ إيل بوراثة فكرة زوتشيه وتطويرها، مواصلا بذلك حيويتها على أروع صورة، وربط ربطا وثيقا شرايين قضية الاستقلالية، قضية الاشتراكية التي كانت تعاني كبوة وعذابات من جراء مكائد الإمبرياليين والرجعيين، وذلك من خلال دفعها قدما بتشكيل كيان قوي متحد بقلب واحد بين الزعيم والحزب والجماهير.

إن الوحدة المتلاحمة بقلب واحد، التي تتجلى قدراتها الباهرة في كوريا الاشتراكية تخرج اليوم بالانتصارات الرائعة في كل خطوة، باعتبارها مفتاح جميع انتصارات هذا البلد وسلاحه مطلق الفعالية، وتتيح له أن يرتقي إلى دولة اشتراكية قوية لا تعرف الهزيمة.

مآثر هذين الرجلين العظيمين الفريدين تثير حاليا ثناء عاطرا وإعجابا شديدا من الشعوب التقدمية في العالم، نظرا لكونها أعظم وأبرز ما في هذه الدنيا.

علاوة عليهما، استقبل أبناء الشعب الكوري اليوم قائدا فذا آخر هو القائد الأعلى المحترم كيم جونغ وون، ويغذون خطاهم في إنجاز قضية بناء دولة اشتراكية قوية وقضية استقلالية البشر، متحدين حوله كصلابة الصخر والحديد وساحقين بقدرات الذات الوطنية شتى صنوف المكائد

المعادية للاشتراكية وجمهوريتهم من قبل الرجعيين.

ما من أحد وما من قوة تستطيع أن تقف في وجه تقدم كوريا الاشتراكية المتحدة بقلب واحد بين الزعيم والحزب والجماهير، مهما هبت عواصف التاريخ العاتية بكل أنواعها وتضاعفت المصاعب.

طالما أن أبناء الشعب الكوري يتحدون كالبنيان المرصوص حول قائدهم وحزبهم، فإنهم سيظهرون قدراتهم بكل أبعادها أمام العالم، بكونهم ذاتا فاعلة قوية للتاريخ، وسيحققون نصرا نهائيا حتما على طريق الاستقلالية، طريق الاشتراكية الذي اختاروه بأنفسهم.

٣) القرن العشرون - عصر الاستقلالية، عصر جديد في تاريخ البشر

تحدثنا حتى الآن عن الذات الفاعلة للتاريخ. تتطور الذات الفاعلة للتاريخ إلى ذات فاعلة مستقلة للتاريخ، وهي أقوى المجموعات الاجتماعية في تاريخ البشر، التي يتحد فيها الزعيم والحزب والجماهير في كيان واحد، خلافا للذات الفاعلة للتاريخ.

نود أن نتحدث هنا عن القرن العشرين الذي أنجب الذات الفاعلة المستقلة العظيمة للتاريخ.

ترى ما هو القرن العشرون؟

طبعا إن المفهوم عن القرن العشرين قد يختلف من أحد لآخر. لكننا نقول بحزم إن القرن العشرين بحق قرن أكثر استقلالية في التاريخ. مع حلول هذا القرن، استقبل البشر عصرا جديدا من التاريخ وهو عصر زوتشيه، عصر الاستقلالية.

قال الزعيم العظيم كيم إيل سونغ:

"بالإمكان تسمية العصر الحاضر بعصر الاستقلالية، عصر تبرز فيه الشعوب التي كانت مضطهدة ومهانة في الماضي تحت سيطرة وعبودية بلدان كبرى، بوصفها سادة العالم، وتشق مصيرها بشكل مستقل وخلاق."

في هذا القرن، ظهرت جماهير الشعب عن جدارة كسيد التاريخ لأول مرة في التاريخ، وتخلصت من قيود العار المسماة بالخضوع والإذعان، وراحت تشق التاريخ من زاوية جديدة، عبر نشاطاتها المستقلة والخلاقة.

هذا العصر العظيم الذي أنجبه البشر لم يكن ولن يكون مثيل له في التاريخ، وهو لذلك خرج بأثمن الثمرات والإبداعات، أي الذات الفاعلة المستقلة للتاريخ، والاشتراكية.

تمخض عصر الاستقلالية

منذ بداية القرن العشرين، راحت تظهر على مضمار العالم بوادر جديدة استثنائية إحداها هي انطلاق جميع جماهير الشعوب البسيطة التي كانت ترزح تحت وطأة الاستغلال والنهب الوحشي لقرون طويلة، إلى النضال ضد السيطرة والعبودية، والأخرى هي توسع هذا النضال إلى نطاق العالم. كان ذلك حدثا تاريخيا لم يكن يحصل في العصور السابقة، باعتباره تغيرات لها سعة وعمق بالغان، وتقلبات سياسية كبرى.

كان من الواضح أن ذلك يتنبأ بحلول عصر جديد.

خلاصة القول إن العصور التي سبقت القرن العشرين كانت عصورا تتصرف فيها الطبقات الحاكمة تصرف "سيد العالم"، وتسرح

وتمرح كما يحلو لها على مسرح التاريخ، منهمكة في الجور والنهب والاستغلال والاضطهاد.

كانت مئات الملايين من البشر في العالم تئن تحت نير الاستغلال والاضطهاد، من جراء عدد كبير من حروب الفتح الكبيرة والصغيرة، مثل حملة الإسكندر الكبير، ملك مقدونيا إلى الشرق، وفتح أوروبا وآسيا الصغرى على أيدي حكام روما القديمة، والصليبية في القرون الوسطى، واكتشاف قارة أمريكا من قبل كولومبس وما أعقبه من حروب القوى الرأسمالية الكبرى الجشعة للتنازع على المستعمرات. ومن بينها، بلغ إنشاء المستعمرات الذي بدأ باكتشاف قارة جديدة من قبل كولومبس، وحروب التنازع على المستعمرات، التي تسابقت القوى الرأسمالية الكبرى في الدخول إليها، في الفترة ما بين القرنين السابع عشر والثامن عشر، ذروة شراسة ووحشية المسيطرين والنهابين التي لم يكن مثيل لها في التاريخ من حيث درجتها ونطاقها.

كذلك، تواصلت هذه النكبات المأسوية المفجعة في القرن التاسع عشر.

ولكن، بحلول القرن العشرين، راح يمور عالم السيطرة والنهب الذي بدا كأنه أرض متجمدة أبدية، وبدأ يثور بعنفوان اللهب الحار الذي يشق أديم هذه الأرض القاسية. كان ثوران ذلك اللهب الشديد عبارة عن ثورة أكتوبر الاشتراكية وما أعقبها من التصاعد السريع لنضال التحرر الوطني الذي كانت تخوضه الشعوب في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة.

إلى جانب روسيا القيصرية، تأجج لهب نضال التحرر الوطني المناهض للإمبريالية بعنفوان في البلدان الآسيوية أيضا مثل الصين والهند وإندونيسيا وفيتنام وميانمار والفيليبين وكوريا، حتى غرق العالم

بسرعة في بوتقة التغيرات. إن الواقع العظيم الذي هبت فيه جماهير الشعوب الغفيرة منتصبة، ودار نضالها بأشكال متنوعة على نطاق العالم، كان تغيرا جديدا لا سابقة له في الماضي.

بالطبع، دار نضال الشعوب في الفترات الماضية أيضا، لكنه كان نضالا شاركت فيه بعض الطبقات والفئات، واقتصر نطاقه على بعض البلدان أو المناطق، والأقاليم الفردية في الحد الأقصى.

كانت نفس الحالة تنطبق على القرن التاسع عشر الذي ظهرت فيه الطبقة العاملة لأول مرة على مسرح التاريخ.

في ذلك الحين، ظهرت الطبقة العاملة وحدها في بعض البلدان الرأسمالية المتطورة في أوروبا على مسرح التاريخ كقوى سياسية مستقلة، لتخوض النضال ضد رؤوس الأموال مثل العمل المأجور ونظام الاستئجار.

ولكن الحالة تغيرت على نحو كامل بحلول القرن العشرين.

أخذ ملايين أبناء الشعب في المستعمرات وشبه المستعمرات، فضلا عن أفراد الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية ينطلقون إلى النضال، دون أن يخضعوا صاغرين للسيطرة والعبودية والاستغلال والاضطهاد، وانتشر لهب هذا النضال إلى نطاق العالم، تجاوزا كبيرا لنطاق بلد واحد أو منطقة واحدة، بحيث اهتز القرن العشرون بشدة من جراء النضال الثوري لجماهير الشعب وانطلاقها الجارف الذي يتميز بالصفة الواسعة والمتنوعة.

خوفا من ذلك، لجأ الإمبرياليون والرجعيون في العالم إلى كافة الحيل والأساليب لإيقاف التقدم الثوري لجماهير الشعب.

فإن نضال الشعوب اضطر إلى معاناة الإخفاقات والانتكاسات المريرة باستمرار رغم كثرة الضحايا، لافتقاره إلى القيادة الصائبة.

كانت هذه الحالة المفجعة في أوائل القرن العشرين تتطلب بإلحاح ظهور الزعيم العظيم الذي سيبعثها.

سرعان ما أنجب القرن العشرون هذا الزعيم العظيم المنشود.

شمس طلعت في عصر الاستقلالية

مسار تحول القرن العشرين إلى قرن جديد في التاريخ، عصر الاستقلالية يرتبط بتفاني وجهود الرجال العظماء الذين سعوا بنكران الذات لشق الطريق إليه وتقدمه.

إذا نظرنا إلى الماضي، رأينا أن تاريخ الحركة الشيوعية طوال مائة وبضع عشرات من السنين هو تاريخ تغير العالم على أيدي زعماء الطبقة العاملة.

في أواسط القرن التاسع عشر، استهل ماركس وإنغلس الحركة الشيوعية الدولية، أما لينين فاستهل الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية.

وفي القرن العشرين، فتح الزعيم العظيم كيم إيل سونغ لكوريا الاشتراكية عصر الاستقلالية بنجاح.

فتح عصر الاستقلالية يعد مأثرة عظيمة حققها الرئيس كيم إيل سونغ في تاريخ البشر. كان بمثابة شمس عظيمة لتمجيده القرن العشرين بالاستقلالية من خلال خلق عصر الاستقلالية لأول مرة في التاريخ.

إن شخصيته الجديرة بالرجل العظيم بوصفه شمسا في عصر الاستقلالية تجد تعبيرا مركزا عنها في إبداع فكرة زوتشيه.

لدى إبداعها، كان في مطلع صباه، أي بعد العاشرة، لكنه لاحظ بانتباه عميق تيار الوضع الدولي الذي كان يظهر حديثا في النصف الثاني من العشرينات للقرن العشرين.

كان أكثر ما يسترعي اهتمامه هو التطور السريع للنضال الثوري للطبقة العاملة وحركة التحرر لجماهير الشعوب في المستعمرات وشبه المستعمرات اللتين كانتا على أشدهما تحت تأثير ثورة أكتوبر الاشتراكية المنتصرة، ولاسيما التصاعد السريع لحركة التحرر الوطني في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية التي كانت تسمى بقارات الظلام، القارات النائمة.

ففي مؤلفه "طريق التقدم للثورة الكورية"، قام بتحليل الأحداث العالمية التي وقعت في ذلك الحين، وبذلك، فاز بالنواة الأساسية لفكرة زوتشيه، منطلقها.

وأشار هنا إلى أن المرء يجب عليه أن يدخل إلى أعماق جماهير الشعب لتنظيمها وتعبئتها، بغية قيادة الثورة إلى النصر، وأن يعالج جميع القضايا الناشئة في الثورة بصورة مستقلة على مسؤوليته الخاصة وفقا لظروفه الواقعية، دون الاعتماد على الآخرين.

هذا الجزء من مؤلفه تم تحديده كمنطلقين لفكرة زوتشيه، كما جاء في مؤلف القائد العظيم كيم جونغ إيل الذي أصدره في فترة لاحقة.

هذان المنطلقان أسفرا عن فكرة زوتشيه العظيمة، مشكلين مدار الاستقلالية في القرن العشرين، وتم تعميقها وتطويرها حتى أثمرت ثمرا طيبا هو الكيمئيلسونغية الكيمجونغئيلية.

بإبداع فكرة زوتشيه، أصبحت لجماهير الشعب منارة تضيء طريق نضالها الرامي إلى صنع مصيرها على نحو مستقل.

سار تاريخ القرن العشرين وفق ما تقتضيه فكرة زوتشيه التي أبدعها الزعيم العظيم كيم إيل سونغ، وعصفت رياح الاستقلالية اللائحة التي أثارها، بتاريخ القرن العشرين بكامله، وحولته إلى تاريخ جديد للاستقلالية.

طبعا إن الطريق لفتح عصر الاستقلالية لم يكن معبدا، إذ كان الرجعيون في العالم يبذلون مساعيهم اليائسة لإيقاف نضال جماهير الشعب الرامي إلى تحقيق استقلاليتها.

بعد أن أبدع الرئيس كيم إيل سونغ فكرة زوتشيه، الفكرة الهادية العظيمة في عصر الاستقلالية، قام بالنشاطات المتفانية من أجل فتح عصر الاستقلالية، ساحقا الهجمات الشرسة من جانب الإمبرياليين والرجعيين.

كان أكثر ما يجدر بالذكر في فتح عصر الاستقلالية هو جهوده لتحويل جماهير الشعب، المضطلعة به إلى قوى مقتدرة في هذا العصر.

بما أنه وجد الضمان الأساسي للانتصار في النضال لتحويل العالم أجمع على نهج الاستقلالية، في ترسيخ القوى المستقلة المناهضة للإمبريالية في العالم، حرص على تعزيز هذه القوى بدءا بحركة عدم الانحياز والحركة الاشتراكية.

فقد خاضت هذه القوى التي شكلت على نطاق العالم، نضالا دؤوبا لإحباط عدوان الإمبرياليين وأعمالهم التدخلية في كل أنحاء المعمورة. ففي القرن العشرين، هبت العاصفة الهوجاء، عاصفة الاستقلالية حتى شملت جميع القارات مثل آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، وهي تكنس كل ما هو قديم موروث عبر التاريخ، وتحول القرن العشرين إلى قرن الإبداع والتغير الذي يشتعل بالاستقلالية.

إن انتصار ثورة التحرر الوطني في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة بواسطة القوى الوطنية الذاتية، وانتصار الثورة الاشتراكية في البلدان المتخلفة، والانهيار الشامل للنظام الاستعماري الإمبريالي، وتطور حركة عدم الانحياز، وتوسيع وتوطيد القوى المستقلة المناهضة للإمبريالية، كلها ترتبط ارتباطا رائعا بمآثر الرئيس كيم إيل سونغ الذي عمل بكل تفان

لإنجاز قضية استقلالية البشر، تحت الراية الخفاقة لفكرة زوتشيه.

حقا، كان القرن العشرون قد شهد خلق مدار التاريخ المستقل من خلال تجسيد فكرة زوتشيه تجسيدا رائعا بفضل نشاطات الرئيس كيم إيل سونغ المتحمسة، وكذلك تحولا جذريا في صورة العالم ومضمون العصر، عبر تقدمه الحثيث على مدار الاستقلالية.

إذا استطاع هذا القرن أن يتألق كقرن جديد، قرن الاستقلالية، فلا يمكن تصور ذلك مطلقا، بعيدا عن فكرة زوتشيه الخالدة التي أبدعها الرئيس كيم إيل سونغ ونشاطاته البارزة. لذلك، يثني عليه اليوم البشر التقدميون في العالم، ويحترمونه أيما احترام، واصفين إياه بأنه "شمس عظيمة في القرن العشرين، عصر الاستقلالية".

كان تحديد جائزة كيم إيل سونغ الدولية تعبيرا عن احترامهم العارم له، فهي تم إقرارها في يوم ١٣ من نيسان/ أبريل عام ١٩٩٣ بمناسبة الذكرى الحادية والثمانين لميلاده، بوصفها أعلى جائزة دولية تمنح للمؤمنين بفكرة زوتشيه والشخصيات التقدمية في العالم التي أسهمت في قضية استقلاليته. تحديد هذه الجائزة يستأثر بأهمية تاريخية كبرى في تمجيد مآثره الخالدة للأبد حين ساهم مساهمة خاصة في إحلال السلام في العالم وإنجاز قضية استقلالية البشر، بصفته أبرز مفكر ومنظر في عصرنا هذا.

كما حدد الشعب الكوري تقويم زوتشيه، وسجل بذلك يوم ميلاده في حلقات التاريخ السنوية باتخاذ عام ميلاده كأول عام من أعوام عصر زوتشيه، عصر الاستقلالية، وسجى جثمانه في قصر الشمس في كومسوسان بملامحه الحية الخالدة.

إن القرن العشرين الذي سار على طريق الاستقلالية الذي أضاءه

الرئيس كيم إيل سونغ، تم تسجيله بحروف بارزة في صفحة من صفحات تاريخ البشر كقرن فاتح لعصر الاستقلالية.

هذا القرن العشرون، قرن الاستقلالية الذي فتحه الرئيس كيم إيل سونغ ازداد بهاء ورونقا، على يد القائد العظيم كيم جونغ إيل.

بيان بيونغ يانغ

كانت التسعينات من القرن العشرين الذي أوشك أن يغيب، فترة عصيبة مرت فيها قضية استقلالية جماهير الشعب، القضية الاشتراكية بالمحن القاسية. ذلك لأن الاشتراكية وهي مرحلة عالية من قضية الاستقلالية كانت تعاني وجعا مبرحا، من جراء الأعمال الشرسة المضادة للاشتراكية، التي لجأ إليها الإمبرياليون والرجعيون.

من الطبيعي أن ولادة الجديد وانتصاره مصحوبان بالمخاض. ما إن ظهرت الاشتراكية حتى بذل الإمبرياليون والرجعيون في العالم كل المساعي لإبعاد تأثير الاشتراكية وطمسها. فقد فرضوا التطويق والعقوبات الاقتصادية على البلدان الاشتراكية، ودبروا مكائدهم العنيدة لتفكيكها النفسي، وانغمسوا في الأعمال العدوانية والحربية، ملوّحين بالسلاح النووي، إذ انتابهم فزع شديد من مضي الاشتراكية على صعودها المظفر.

في القرن الماضي، انتشرت الاشتراكية على نطاق واسع، ونقلت إلى حيز الواقع على مستوى العالم، مما أسفر عن منظومة اشتراكية.

في وقت من الأوقات، دخل نحو مليار نسمة من مجموع عدد سكان العالم البالغ قوامه ٢,٧ مليار إلى طريق الاشتراكية، وكانت راية الاشتراكية ترفرف في المناطق الواسعة التي تحتل ربع أراضي العالم.

ولكن في مصاف الاشتراكية التي كانت تتقدم في العالم على أنغام المارش الكبير، وقعت حادثة مأسوية كبيرة في العقد الأخير من القرن العشرين، وهي انتكاس الاشتراكية وانهيارها. القطار التاريخي من القرن العشرين، المسمى بالاشتراكية أوقف هديره، وحاد عن خطه. طبعا إن ذلك نتج عن أعمال المرتدين عن الاشتراكية، الذين أفسدوا الاشتراكية، إذا أمعنا النظر في حقيقة الأمر.

ومع ذلك، كان عدد غير قليل من الناس في مختلف بلدان العالم لا يدققون النظر في بواطن هذه الحادثة ولذا، يفهمون كما لو أن حتمية هزيمة الرأسمالية وانتصار الاشتراكية لا تصح، واصفين بأن هذه الحادثة هي بمثابة "تشويهة" القرن العشرين، وأخطر "الاضطرابات الكبيرة" بعد الحرب العالمية الثانية.

بالتزامن مع كثرة الجدال عن هذه الحادثة ووقوع الناس في الاضطراب على نطاق العالم، راح الناطقون بلسان الرأسمالية يتحدثون بصخب عن "نهاية الاشتراكية" وهلم جرا.

في هذه الفترة التاريخية العصيبة التي تقرر إما انتكاس الاشتراكية أم لا، انطلق القائد العظيم كيم جونغ إيل لكوريا الاشتراكية إلى الطريق لإنقاذ مصير التاريخ، ومصير الاشتراكية، ومصير جماهير الشعوب.

فقد بدأ نشاطاته لإعادة بناء الاشتراكية التي تم انتكاسها، بالعمل الرامي إلى تحليل علمي للوضع في ذلك الحين.

لمداواة الاشتراكية المريضة، كان لا بد من إصدار وصفة صائبة عن وضعها المعني.

لهذا الغرض، أصدر مؤلفاته الكلاسيكية الخاصة بالاشتراكية واحدا بعد الآخر، وبذلك، كبت الدعايات الخبيثة التي لجأ إليها الرجعيون،

مثرثرين بصخب عن كبوة الاشتراكية وانهيارها، وطرح الاتجاه الجديد للسير نحو الاشتراكية وأساليبه العلمية، أمام شعوب العالم التقدمية التي تتطلع إلى الاشتراكية.

في هذا الإطار، صدرت مؤلفاته على التوالي مثل القذائف المتفجرة ومنها "**الدروس التاريخية في البناء الاشتراكي والخط العام لحزبنا**"، و"**لا يمكن السماح بمرور الافتراءات المعادية للاشتراكية**"، مما أذكى الحماس الاشتراكي في قلوب البشرية التقدمية في العالم، وأرسل القشعريرة في أوصال الإمبرياليين والرجعيين.

أكثر ما كان يعجبنا هنا هو إشارته إلى السبب الأساسي في انهيار الاشتراكية.

أكد القائد كيم جونغ إيل في مؤلفاته وهو يقتبس قولا مأثورا للزعيم العظيم كيم إيل سونغ: "**على المرء أن يجد النقص في ذاته ويجد العمل في الغير**"، أن السبب الأساسي في انهيار الاشتراكية يعود إلى عدم تقوية الذات الفاعلة وعدم إعلاء دورها.

قال القائد العظيم كيم جونغ إيل:

"**إن السبب الأساسي في انهيار الاشتراكية في بعض البلدان التي كانت تبني الاشتراكية، يرجع بكلمة واحدة إلى أن هذه البلدان لم تمسك بمسألة تقوية الذات الفاعلة وإعلاء دورها كأساس في البناء الاشتراكي، لأنها لم تفهم جوهر الاشتراكية باتخاذ جماهير الشعب، الذات الفاعلة للتاريخ، محورا لها.**"

هذا قول مأثور يبيّن أين القدرة الحياتية للاشتراكية.

إذا لم تمسك البلدان التي انهارت فيها الاشتراكية بتقوية ذاتها الفاعلة وإعلاء دورها كأساس، فذلك أشبه بعدم إيواء صاحب البيت إليه بعد

تشييده. البيت الخالي من صاحبه يدخله اللص. هذا قانون.

وأوضح القائد العظيم كيم جونغ إيل جميع القضايا الناشئة في سياق بناء الاشتراكية وتطويرها وإكمالها ومنها المبادئ الأساسية والطرق الواجب التمسك بها في بنائها، فضلا عن موضوع الذات الفاعلة في بناء الاشتراكية.

فور صدور مؤلفاته، اشتعل العالم بالنزوع المتحمس إلى الاشتراكية من جديد، وانطلقت الشعوب التقدمية إلى النضال لإعادة بناء الاشتراكية.

أمام هذا الواقع، أيقن القائد كيم جونغ إيل يقينا راسخا بصحة الاشتراكية وطابعه العلمي وحتمية انتصارها. رغم انتكاس الاشتراكية في البلدان العديدة، ما زالت الاشتراكية حية في قلوب الشعوب، لأنها هي علم. مع أن الاشتراكية تعاني التقلبات المؤلمة مؤقتا من قبل الانتهازية، لكنها ستنبعث وستحقق انتصارا نهائيا حتما لطابعها العلمي وحقيقتها.

بعد أن وطد القائد ثقته بالانتصار العظيم لقضية الاشتراكية، أصدر مؤلفه التاريخي "**الاشتراكية علم**"، وأثبت فيه بحججه المنطقية طبيعة الاشتراكية بوصفها علما، وحتمية انتصارها.

إن نشاطاته الدؤوبة لإنقاذ الاشتراكية من الأزمة، وإيضاح طريق انتصارها الجديد لم تقتصر على ذلك، بل وأدت إلى إقرار بيان بيونغ يانغ التاريخي الذي يعكس التطلعات والأماني الكبيرة لدى البشرية التقدمية في العالم التي تصبو إلى الاشتراكية، كما هي عليه، وهو ما يعد مأثرة من مآثره التاريخية الخاصة في إنجاز قضية استقلالية جماهير الشعب.

أعلن هذا البيان في بيونغ يانغ بعنوان "فلندافع عن القضية الاشتراكية وندفع عجلتها إلى الأمام" في يوم ٢٠ من نيسان/ أبريل عام ١٩٩٢، في جو من الرجاء الكبير والاهتمام الفائق من الشخصيات والشعوب التقدمية في العالم، التي تتطلع إلى الاشتراكية، وكان إعلانا

تاريخيا أثبت أن الاشتراكية هي بمثابة المثل العليا للبشر وهي مجتمع يمثل مستقبل البشر، مجتمع حقيقي للشعب.

ما إن صدر بيان بيونغ يانغ حتى تسابقت الأحزاب التقدمية بالعالم في التوقيع عليه وهي تقدره تقديرا عاليا، واصفة إياه بأنه "راية النضال التي تعكس أماني الأحزاب والشعوب التواقة إلى الاشتراكية"، و"راية وحدة الحركة الشيوعية الدولية وتلاحمها"، و"البيان الشيوعي الثاني". ففي أوائل تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩٩٩، بلغ عدد الأحزاب التي وقعت على بيان بيونغ يانغ ٢٥٠ حزبا.

عند الحديث عن مآثر القائد كيم جونغ إيل، المرشد العظيم لقضية الاستقلالية في القرن العشرين، تجدر الإشارة خاصة إلى أنه أسس الاشتراكية القاهرة التي حققت وحدة الناس المتلاحمة بقلب واحد.

إذ أنه أرسى في كوريا نموذج الاشتراكية الذي كان البشر يتصورونه كمثلهم العليا، ودافع عن الاشتراكية بممارسة سياسة سونكون (إعطاء الأولوية للشؤون العسكرية)، مواصلا بذلك شرايين الاستقلالية بكل أمانة.

حقا إن كوريا الاشتراكية هي الوليد العظيم لعصر الاستقلالية، العصر الجديد للتاريخ.

٤) الصورة الحقيقية للذات الفاعلة المستقلة ـ وحدة كوريا المتلاحمة بقلب واحد

تحدثنا حتى الآن عن الاشتراكية وهي وليد عظيم لقرن الاستقلالية، القرن العشرين. وجنبا إلى جنب معها، سجلت الذات الفاعلة المستقلة

للتاريخ أيضا بوضوح في حوليات التاريخ كنتاج عظيم عن عصر الاستقلالية، القرن العشرين.

الذات الفاعلة المستقلة للتاريخ هي جماعة أكثر واعية وتنظيمية، تشكلت في سياق صنع جماهير الشعب مصيرها على نحو مستقل وخلاق، وكذلك جماعة اجتماعية يشكل فيها الزعيم والحزب والجماهير كيانا واحدا متكاملا تنظيميا وفكريا. هذه الجماعة التي ظهرت لأول مرة على مسرح التاريخ، متميزة بقدراتها الحياتية الأصيلة وحيويتها الفريدة، بوصفها جماعة اجتماعية أكثر اقتدارا في التاريخ، لا تضاهيها أية جماعة في العالم من حيث جبروتها وقدراتها الحياتية.

كوريا الاشتراكية هي تحديدا موطن هذه الجماعة التي لم يكن مثيل لها في قدراتها التنظيمية القوية وملامحها الفكرية والروحية العالية.

نود أن نتحدث عن ذلك متجولين في كوريا الاشتراكية.

اشتراكية كوريا إنما هي عالم جديد كل الجدة لم يشهده تاريخ البشر حتى الآن، اشتراكية عظيمة حقا يتخذ فيها جميع أبناء المجتمع الزعيم أبا لهم ويشكلون أسرة كبيرة واحدة. من الواضح أن اشتراكية كوريا التي كان الناس في العالم يصفونها بنموذج الاشتراكية منذ زمن بعيد، تملك عددا لا يقل من الخصائص الباعثة على الفخر، لكن أكبر مفاخرها هي كيان متكامل واحد قوامه الزعيم والحزب والجماهير.

لكي تعرف الصورة الحقيقية لاشتراكية كوريا، يتوجب عليك أن تعرف هذا الكيان وبعبارة أخرى الكيان الاجتماعي والسياسي الحي الذي يشكل حجر أساس جبروتها ومتانتها.

وبغير معرفة ذلك، لا يمكن لأحد أن يجرؤ على القول إنه يكون على إلمام تام بهذا البلد. على كل حال، يتركز في ذلك جميع مفاتيح النجاحات

لدى اشتراكية كوريا. لا ندري هل يصح أن نسميه "بسلاح فريد من نوعه" أو "صندوق كنوز"، حتى نترك ذلك لحكم القراء.

من خلال المسيرة الجماهيرية

أكثر ما يجذب اهتمام زوار كوريا الاشتراكية هو المسيرة الجماهيرية. تقام هذه المسيرة في هذا البلد بحشود كبيرة، بمناسبة الأعياد المباركة والأخرى السياسية ذات الأهمية الكبيرة مثل عيد الشمس (عيد ميلاد الزعيم العظيم كيم إيل سونغ)، وعيد تأسيس الجمهورية، وعيد تأسيس الحزب، وعيد تأسيس الجيش.

تجري المسيرة عموما في أي بلد سواء في المجتمع الرأسمالي أم المجتمع الآخر، لكن المسيرة الجماهيرية الكورية تختلف تماما عما في البلدان الأخرى من حيث نطاقها وشكلها وصورتها.

يمر عدد كبير من الجماهير كسيل جارف أمام منصة الرئاسة في الساحة، وهم يضربون جميعا الأرض بالأقدام ويهتفون بحياة القائد بملء أصواتهم، بينما القائد يرد على هتافاتهم بحماسة رافعا يده، وعلى محياه ابتسامة عريضة.

حقا، إن هذه الصورة الجميلة المؤثرة التي تتمثل في تجاوب القائد والشعب فيما بينهما هي صورة سامية تبين مدى قربى وحرارة العلاقات بين الزعيم والشعب. هذه الصورة من وحدة الشعب وتلاحمه حول قائده، يغبطها الناس في العالم ويتعجبون منها بالإجماع، متسائلين في أنفسهم كيف يتحد الزعيم والشعب في كوريا بتلك الدرجة الحارة والوثيقة، وما هو سرها الحقيقي، يا ترى.

كيان موحد ما بين الزعيم والحزب والجماهير

إذا أردت أن تعرف ذلك السر، عليك أن تعرف ما هو كيان موحد ما بين الزعيم والحزب والجماهير في كوريا، لا وجود له في أي بلد من بلدان العالم.

الكيان الموحد ما بين الزعيم والحزب والجماهير يعني جماعة يتحد فيها الزعيم والحزب والجماهير بتراص فكريا وإراديا وتنظيميا، وواجبا أخلاقيا.

هذا الكيان الموحد يعبر عنه بعبارة أخرى بالذات الفاعلة المستقلة للثورة، والكيان الاجتماعي والسياسي الحي، بمعنى أنه كيان مصيري مشترك واحد.

أصبحت هذه المصطلحات كلاما عاديا بين أبناء الشعب الكوري، لكن الأجانب قد يشعرون بالصعوبة إلى حد ما في فهم معناها، فإننا نود أن نتحدث عن مغزاها بمزيد من التفصيل.

فيما يلي قصة لقاء الزعيم العظيم الرئيس كيم إيل سونغ بإحدى الشخصيات الأجنبية التي زارت كوريا الاشتراكية، في أيار/ مايو عام ١٩٩٣. دار الحديث معها حول موضوع بناء مجتمع جديد.

قال الرئيس كيم إيل سونغ لها إن المثل الكوري يقول: لا قائد بلا عسكر، وبالمثل، بغية بناء مجتمع جديد، لا بد من ترسيخ الحزب أولا وجمع شمل الجماهير حوله بطريقة تربية الواحد عشرة والعشرة مائة، والمائة ألفا، والألف عشرة آلاف، من خلال تأهيل عناصر النواة، وتطرق بالتفصيل إلى المسائل الناشئة في بناء المجتمع الجديد.

أثناء الحديث، قال لها وهو يشير إلى الخوخ الموضوع على الطاولة إنه إذا جاز تشبيه الزعيم والحزب والجماهير بهذا الخوخ فيمكن مقارنة لبه بجماهير الشعب وقشرته المتينة بالحزب وبذرته بالزعيم.

مبادئ الدنيا تتضح بشكل أكثر جلاء من خلال المقارنة والطباق. كان ذلك تشبيها بارعا إلى أقصى درجة.

قال الزعيم العظيم كيم إيل سونغ:

"في بلادنا، يتحد الزعيم والحزب والجماهير بقلب واحد. لا يجوز أن ليس هناك الزعيم. كما لا يجوز أن يوجد الحزب وحده. فيجب أن يكون ثمة الزعيم. حتى خلية النحل وقرية النمل تضم ملكة.

أما الحزب فلا بد من جعله بشكل كامل كالخوخ."

بعد أن أشار الرئيس كيم إيل سونغ إلى مبدأ الكيان الموحد تشبيها بالخوخ، قال على نحو عميق المعنى إن البلد لا ينهار عندما يتحد أبناؤه، وإذا أصيب البلد بالدمار فإن جميعهم يقعون في مصير الشحاذين.

يجب تحقيق وحدة الجميع حتما حول النواة، ويجب بناء الحزب تماما مثل الخوخ. كان ذلك قولا ذا دلالة كبيرة كلما نتعمق في معناه.

الكيان الموحد بقلب واحد بين الزعيم والحزب والجماهير هو جماعة متكاملة متحدة حول المركز والمحور الواحد على أساس مبادئ الواجب الأخلاقي الثوري والمحبة الرفاقية. الزعيم هو مركزه.

مثلما تتشكل وتتحرك وتتطور جميع الأشياء في الدنيا حول النواة، يجب أن يكون ثمة في تحقيق الوحدة والتلاحم أيضا مركز كالنواة. يكون القائد، الزعيم هو بالذات مركز الوحدة والتلاحم.

يحتل الزعيم موقع مركز الجماعة الاجتماعية، دماغها الأعلى، فهو يضمن وحدتها وتلاحمها، ويقود نشاطها الحيوي على نحو موحد.

هذا ويأتي الحزب في مكان محور هذا الكيان الموحد، بوصفه وحدة نواتية لجماهير الشعب المتحدة بتراص حول الزعيم تنظيميا وفكريا.

إن الكيان الموحد بين الزعيم والحزب والجماهير، الذي يشكل

الزعيم والحزب مركزا ومحورا له، ويرتبط كل منها بالآخر برابطة الدم، يحيا حياة مستقلة قوية.

قال القائد العظيم كيم جونغ إيل:

"لا تكون جماهير الشعب كائنا اجتماعيا وسياسيا يحيا حياة مستقلة خالدة إلا عندما يتم توحيدها، تنظيميا وفكريا، حول الزعيم تحت قيادة الحزب."

يملك الكيان الاجتماعي والسياسي الحي الذي تنفرد به كوريا قدرة حياتية مستقلة تتميز بتقديم الطلب المستقل للتخلص من كل أنواع العبودية والعيش كسيد العالم ومصيره، والمضي في تحقيقه بقوته الخلاقة.

هذا الكيان الموحد بين الزعيم والحزب والجماهير الذي تشكل اليوم في هذا البلد، يمثل أسمى نموذج للجماعة الاجتماعية والسياسية، نظرا لتكامل الوحدة المتلاحمة بقلب واحد ومتانتها وتمام إنجاز استقلالية جماهير الشعب.

شاهد البشر اليوم عالما جديدا كل الجدة لم يشهده التاريخ حتى الآن، واقعا عظيما يشكل فيه جميع أبناء المجتمع أسرة كبيرة واحدة متخذين الزعيم أبا لها.

إن الكائن الاجتماعي والسياسي الحي ليس إحدى النظريات الفارغة، بل صار واقعا حيا وصورة حية في كوريا الاشتراكية حتى يلوح أمام ناظرينا كعالم جديد.

كوريا أسرة كبيرة واحدة

يعتبر الناس عادة الأسرة كخلية مجتمع يعيش فيها أقرب الأهل.

ففي الأسرة، يحب ويعتز الوالدان بأبنائهما إلى أقصى الدرجات.

بفضل حب الوالدين الحار والصادق والأبدي للأبناء، تضمن ألفة الأسرة وسعادتها.

كل من يتبادل الحديث مع الكوريين يحسون بأن مجتمع كوريا هو أسرة كبيرة واحدة، إذ أنهم يسمعون منهم كثيرا ما كلاما على غرار "زعيمنا"، و"قائدنا"، و"الحزب الأم"، و"حزبنا"، و"شعبنا"، و"أسرة كبيرة واحدة". يعني كلامهم هذا أن الزعيم هو زعيمنا، والحزب هو حزبنا، والشعب هو شعبنا.

عند الحديث عن المجتمع، يصفونه بأسرة كبيرة واحدة، ويحبون إنشاد الأغاني عنها.

إن كلمات "لنا"، و"أسرة"، و"أم" في الأصل كلمات دارجة في الأسرة المشكلة من أقرب نسب، أي الوالدين والأبناء. لكن الكوريين يستخدمون هذه الكلمات تعبيرا عن المودة المتبادلة بين القائد والشعب خارج الأسرة.

في أي بلد من بلدان العالم، لا يمكن رؤية مثل واقع كوريا هذا الذي يرتبط فيه الزعيم والشعب برابطة الدم وفي وئام كالعلاقات بين الوالدين والأبناء في أسرة واحدة.

يمكنك أن ترى في أي مكان من هذا البلد ذلك المشهد اللافت للنظر، الذي يختلف اختلافا تاما عن العالم الرأسمالي القائم على الفردية والذي تسوده شريعة الغاب.

ينادي الكوريون زعماءهم أبا لهم، ويضعون صورهم بكل احترام في منازلهم، وحين أقبلت أيام سعيدة أو مباركة، يقدمون التحية أولا لصورهم الجليلة، ويشاركونهم السرور والبهجة. وحين حلت بهم الكوارث الطبيعية بغتة، يفكرون أولا في صورهم قبل أرواحهم،

ويسعون لضمان أمنها مجازفين بأرواحهم.

إلى جانب ذلك، يوجد في كوريا عدد لا يعدّ ولا يحصى من الأسر التي تعيل الأيتام والعجائز الذين لا أبناء لهم وذوي الإعاقة كأفراد أسرهم، فضلا عن الأفعال الجميلة التي يقوم بها الناس من خلال إنقاذ رفاقهم من الخطر المحقق أثناء العمل، مضحين بأنفسهم.

عندما يواجه عدد كبير من بلدان العالم اضطرابا وهلاكا، من جراء النزاعات القومية والدينية والنزاعات على الأراضي، لا تعرف كوريا وحدها أي فوضى واضطراب اجتماعي.

هذا الواقع الرائع الذي نراه اليوم في كوريا ثمرة قيمة أثمرها الكيان الموحد بين الزعيم والحزب والجماهير، أي الكيان الاجتماعي والسياسي الحي.

لوجود هذا الكيان العظيم، ظهر في هذا البلد الصغير بالشرق أسلوب السياسة الاشتراكية الذي لم يسبق ولن يوجد مثيله حتى يثبت جبروته أمام العالم كله، ويجعل هذا البلد الذي كان يسمى في الماضي ببلد صغير وضعيف يصعد إلى قمة دولة اشتراكية قوية.

بما أن الشعب الكوري يشكل جميعا أسرة كبيرة واحدة باتخاذ الزعيم أبا لها، تجري كافة الأمور في كوريا على خير ما يرام، رغم أن عددا كبيرا من بلدان العالم يعاني الآلام والتقلبات بسبب الأزمة السياسية والاقتصادية.

يمكنكم أن تفهموا إلى حد ما لماذا يحب الكوريون استخدام القول المأثور "كل الأمور تسير على ما يرام حين يسود الوئام في الأسرة".

قدرات الوحدة المتلاحمة بقلب واحد

الوحدة المتلاحمة بقلب واحد هي مصدر جميع قدرات كوريا، وتشكل حجر أساس راسخ يدعم هذا البلد ليصبح دولة قوية.

قال القائد العظيم كيم جونغ إيل:

"إن الوحدة المتلاحمة بقلب واحد هي عماد رئيسي لثورتنا، وسلاح مقتدر لإنجاز قضية الاشتراكية.

... لقد تغلبنا على مؤامرات قوى التحالف الإمبريالي للعزل والخنق، والمصاعب الاقتصادية، ودافعنا عن العلم الأحمر للاشتراكية، بوحدة القلب الواحد بين الزعيم والحزب والجماهير."

جبروت الدولة لا يتوقف على حجم أراضيها وعدد سكانها.

ذات مرة، قال فكتور هوغو: "مثلما لا تتقرر عظمة الإنسان عبر طول قامتها، كذلك لا تتقرر عظمة الشعب عبر عدده."

قوله هذا منطقي إلى حد ما.

يكون معيار دولة قوية هو، على وجه العموم، مدى قوة سياستها، وبعبارة أخرى، يجب أن تكون دولة سياسية قوية. ذلك لأن السياسة قطاع يستأثر بأهمية حاسمة يتوقف عليه مجمل قطاعات المجتمع الاقتصادية والعسكرية والثقافية. من هنا، إذا أراد أي بلد أن يكون دولة كبيرة على صعيدي الاقتصاد والشؤون العسكرية، فمن واجبه أن يتخذ ملامح الدولة الكبيرة في السياسة أولا وقبل غيرها. إذا كانت السياسة عاجزة لا حول لها ولا قوة، فإن الاقتصاد والشؤون العسكرية أيضا لا يثبتان جدارتهما.

لقد أصبحت كوريا دولة سياسية وفكرية قوية، وعلى هذا الأساس، تحولت إلى دولة عسكرية قوية، واليوم، تندفع بخطى حثيثة إلى ذروة دولة اقتصادية قوية. هذه حقيقة يعترف بها العالم.

إذن، ما هو مفتاح صيرورة كوريا دولة سياسية قوية؟

تشير فكرة زوتشيه إلى أن دولة سياسية قوية لا تأتي إلا عندما يتحد

الـزعيم والحـزب والجمـاهير، وبعبـارة أخـرى أن الكيـان الموحـد بـين الزعيم والحزب والجماهير هو بالذات دولة سياسية قوية. هذا يعنـي، فـي التحليل الأخير، أن أي بلـد يغدو دولـة سياسية قويـة، فقط حينمـا يشكل الزعيم والحزب والجماهير كيانا متكاملا موحدا فكرا وإرادة وقلبا.

صورة كوريـا وقدراتها بوصفها دولـة سياسية قويـة تتجلـى بوضـوح في وحدة القلب الواحد بين الزعيم والحزب والجماهير.

هذه الوحـدة المتلاحمـة بقلـب واحد أقوى مـن السـلاح النـووي، ولـيس في العالم سلاح أقوى منها.

حـين تـم اختـراع القنبلـة الذريـة فـي أواسـط الأربعينـات مـن القـرن العشرين، صعق العالم من قدرتها. منذ ظهورها إلى حيز الوجود، كانـت تهـدد تهديـدا مريعـا العـالم، وراء الجـدار الحديـدي السـميك. لـذلك، بـذل العديد من بلدان العالم كل المساعي لحيازتها.

كانت البلدان التـي تفتقر إليهـا تنكمش علـى نفسـها أمـام توعد وتهديد البلدان المالكة لها، حتى راحت ترضخ لها واحدا بعد الآخر. ولـم تسـتثن منها حتى البلدان الكبيرة.

ولكن ما إن ظهر في كوريا "سلاح" جديد يسمى بالوحدة المتلاحمـة بقلب واحد حتى تغير الوضع.

أخـذت قـدرة الأسـلحة النوويـة ذات القـوة الفيزيائيـة البحتـة، تخضـع بالتـدريج لجبـروت كوريـا السياسـي والفكـري، وبـدأ يتضـاءل تفوقهـا وفعاليتها المطلقة.

كانت فترة حرب التحرير الوطنية فـي كوريـا أول بـادرة تعكس ذلـك. بعـد أن قهـر الشـعب الكـوري القـوى الإمبرياليـة المتحالفـة المتغطرسـة بقـدرات وحدتـه المتلاحمـة بقلـب واحـد، حقـق بهـا الثـورة الاشـتراكية

بنجاح، وفي التسعينات من القرن الماضي، تكلل بالنصر تلو الآخر في حرب المواجهة مع الأعداء في ظل الظروف القاسية التي انهارت فيها الاشتراكية في البلدان الأوروبية الشرقية، وبلغ جور الإمبرياليين ذروته، وبذلك، دافع عن الاشتراكية الكورية، ومضى في ترسيخها وتطويرها، حتى ارتقت كوريا إلى الأعلى كدولة قوية.

وحدة كوريا المتلاحمة بقلب واحد التي جعلت هذا البلد يطلع إلى الأعلى كدولة قوية في جميع أوجه المجتمع تجذب العالم أجمع بقدرتها الجاذبية العظيمة.

قال الناس منذ زمن بعيد إن أقوى قدرة في الدنيا هي سلاح نووي، لكن ذلك صار اليوم كلاما قديما، لأن سلاحا أقوى منه ظهر في كوريا الاشتراكية وهو تحديدا الوحدة المتلاحمة بقلب واحد.

٣- يتقدم المجتمع البشري على الطريق الذي تشقه جماهير الشعب

نود أن نتحدث من الآن عن نوعية الطريق الذي يجب على جماهير الشعب التي اتخذتها فكرة زوتشيه ذاتا فاعلة للتاريخ أن تسير عليه، وكيفية سيرها، فيما هي تخلق التاريخ.

أوضحت فكرة زوتشيه أن الحركة التاريخية الاجتماعية حركة مستقلة وإبداعية وواعية لجماهير الشعب، على أساس المبدأ القائل بأن جماهير الشعب هي الذات الفاعلة للتاريخ الاجتماعي. يكون ذلك إيضاحا لطبيعة الحركة التاريخية الاجتماعية وطابعها والقوة الدافعة لها، وفي نفس الوقت، إيضاحا للقوانين الأصيلة لهذه الحركة بصفتها حركة للذات الفاعلة تختلف عن حركة الطبيعة. بموجب القوانين الأصيلة للحركة الاجتماعية، يتقدم التاريخ الاجتماعي على نحو هادف وواع، على الطريق المستقل والمبدع. هذا مبدأ جديد حظي به البشر لأول مرة. ههنا أيضا يمكننا أن نجد أصالة فكرة زوتشيه.

١) حسب القوانين الأصيلة للحركة الاجتماعية

أثناء قراءتنا مؤلفات القائد العظيم كيم جونغ إيل، نجد كثيرا ما موضوعة تقول بأن "**الحركة الاجتماعية تتغير وتتطور حسب قوانينها الأصيلة**".

رغم أنها موضوعة قصيرة، فهي تعطي إيضاحا أصيلا لمجتمع البشر، تاريخ البشر.

لجميع الأشياء في الدنيا قوانينها الذاتية، وبموجبها، تتغير وتتطور. هذه خصائص عمومية تتميز بها الأشياء والظواهر في الدنيا.

لكل من الطبيعة والمجتمع ونشاطات الإنسان قوانينه الخاصة.

في عالم الطبيعة، توجد قوانين عالم الجمادات مثل قانون الجاذبية الأرضية، والقانون الدوري للعناصر الكيماوية، وقوانين عالم الأحياء مثل قانون الوراثة.

طالما أن المجتمع هو الآخر جزء من أجزاء العالم، هناك قوانين تغيره وتطوره كما هي الحال في الطبيعة.

رأى بعض الناس في الماضي من جانب واحد أن القوانين لا توجد إلا في الطبيعة، ورفضوا أداء أي قانون في المجتمع.

وصل الأمر بهم حد الزعم بأنه إن وجد شيء ما في المجتمع فما هو إلا نزوة أي فرد أو حكمه الذاتي، حتى قال أحد العلماء إن تاريخ أوروبا يكون قد اختلف عما هو عليه حاليا، إذا صار أنف ملكة مصر القديمة كليوباترة أدنى بشبر واحد مما كان عليه، وقال بعض الأشخاص إن سوء هضم أية ملكة أو نزوتها يكون سببا كافيا في إثارة حادثة كالحرب.

لكن سياق الحركة التاريخية الاجتماعية ليس تراكم أحداث صدفية تسير على هذا النحو أو ذاك، وفقا لنزوة فرد خاص أو إرادته الذاتية.

إذا تغير التاريخ بهذا الشكل أو ذاك بمحض الصدفة دون أي قانون له، فلماذا مر كثير من البلدان في الشرق والغرب بمراحل تطورها الاجتماعي المتشابهة، حتى بلغت مرحلة اليوم. أ هذا تطابق صدفي؟ كلا أبدا.

بالطبع تقع في المجتمع الأحداث والتحولات تباعا، ويكون عدد كبير

من الناس ضالعين فيها، بحيث صار تغير المجتمع معقدا بما لا يقارن. ومع ذلك، توجد في المجتمع حتمية تاريخية، قوانين ثابتة لا تتزعزع، وهي بالضبط تتحكم بالمجتمع.

ما هي إذن القوانين التي تتحكم بالمجتمع؟

تقول فكرة زوتشيه بأن تلك هي قوانين الحركة للذات الفاعلة.

لقد تحدثنا آنفا عن وجود الذات الفاعلة في التاريخ الاجتماعي. لوجود الذات الفاعلة في التاريخ الاجتماعي، تتفاعل جميع الأشياء والظواهر في المجتمع بارتباط مع الذات الفاعلة.

هذا التفاعل هو ظاهرة أصيلة لا يمكن رؤيتها إلا في الحركة الاجتماعية.

وبالمقابل، ليست ثمة هذه الخاصية في الطبيعة، لأنها تفتقر إلى هذه الذات الفاعلة.

للطبيعة مواد موجودة موضوعيا فقط، وتتغير وتتطور الطبيعة بفعل تفاعلها.

في سياق تفاعل هذه المواد، ظهرت مختلف أنواع قوانين الحركة مثل قانون الحركة الديناميكية، وقانون الحركة الفيزيائية، وقانون الحركة الكيميائية، وقانون الحركة البيولوجية. بموجب قوانين الحركة هذه، تتغير وتتطور الطبيعة بطريقة عفوية.

خلافا لحركة الطبيعة أعلاه، تملك الحركة التاريخية الاجتماعية ذاتا فاعلة تقودها بمبادرة منها، وتتغير وتتطور قانونيا بفضلها.

فيما يلي موجز مسار ذلك:

تدور في المجتمع نشاطات الناس الفعالة للسيطرة على العالم وتحويله وصنع مصيرهم.

يمكن تصنيفها إلى ثلاثة ميادين على أكبر تقدير، أي ميدان تحويل الطبيعة، وميدان تحويل المجتمع، وميدان تحويل الإنسان.

يقوم الإنسان أولا بالنشاطات لتحويل الطبيعة من أجل تحقيق السيطرة على عالم المواد الموضوعي وتحويله، وفي سياق ذلك، يوفر ظروف الحياة المادية عبر خلق الخيرات المادية. ليس للناس سبيل آخر إلى عيشهم سوى الاستفادة من الطبيعة. الاستفادة الجيدة من الطبيعة تعني تحويل الطبيعة بالذات. من شأن العمل لخلق الخيرات المادية بتحويل الطبيعة أن يلبي حاجات الناس الاجتماعية، ولا يتحقق هذا العمل إلا من خلال التعاون الاجتماعي بين الناس. علاقات التعاون الاجتماعي ليست ثابتة، وعليها أن تكتمل باستمرار مع تقدم التاريخ. ويمضي الناس في تحسين وإكمال علاقات التعاون الاجتماعي من خلال نشاطاتهم لتحويل المجتمع.

جماهير الشعب هي التي تحول الطبيعة والمجتمع على السواء. تواصل جماهير الشعب المضي في إعادة تكوين أنفسها وتطويرها، بممارسة نشاطاتها لتحويل الطبيعة والمجتمع. إن السيطرة على العالم وتحويله من قبل جماهير الشعب يتحققان في المحصلة النهائية من خلال أعمال تحويل الطبيعة والمجتمع والإنسان، وتكون جماهير الشعب ذاتا فاعلة لها.

إن جماهير الشعب باعتبارها الذات الفاعلة للحركة الاجتماعية تخلق كافة ثروات المجتمع المادية والثقافية، وتعمل على تطوير العلاقات الاجتماعية، وفي سياق ذلك، تؤدي فعلها ودورها الإيجابيين، بوصفها الذات الفاعلة للتاريخ. في مجرى أدائهما في التاريخ الاجتماعي، تظهر في المجتمع ظواهر قانونية متميزة لا وجود لها في الطبيعة، وتشير فكرة

زوتشيه إلى أنها قوانين خاصة بالحركة الاجتماعية.

ترى فكرة زوتشيه أن هذه القوانين تؤثر في المجتمع وحده، وليست ثمة في الطبيعة، وعلى هذا، تجري حركة الطبيعة بطريقة عفوية بفعل تفاعل المواد الموجودة موضوعيا، بيد أن الحركة الاجتماعية تنشأ وتتطور بفضل فعل الذات الفاعلة ودورها الإيجابيين. من هنا، تسمى فكرة زوتشيه قوانين الحركة الاجتماعية القائمة على فعل الذات الفاعلة ودورها الإيجابيين بالقوانين الخاصة بالحركة الاجتماعية، عبر إتباعها بنعت "الخاصة"، دون تسميتها بمجرد قوانين الحركة الاجتماعية.

هكذا، يتغير ويتطور التاريخ الاجتماعي، حسب اتجاه فعل القوانين الخاصة بالحركة الاجتماعية التي تمارسها جماهير الشعب.

إذن، على أي طريق وكيف يسير التاريخ الاجتماعي بموجب هذه القوانين التي تؤثر في الحركة الاجتماعية وحدها؟

تقول فكرة زوتشيه إن التاريخ الاجتماعي يتغير ويتطور بصورة هادفة وواعية على طريق الاستقلالية، بامتلاك الطابع الخلاق.

لنر ذلك واحدا تلو الآخر.

٢) طريق التاريخ هو طريق الاستقلالية

عند الحديث عن القوانين الخاصة بالحركة الاجتماعية، نقول أولا إن الحركة الاجتماعية هي الحركة المستقلة لجماهير الشعب.

قال القائد العظيم كيم جونغ إيل:

"إن تاريخ تطور المجتمع البشري هو تاريخ نضال جماهير الشعب في سبيل حماية الاستقلالية وتحقيقها."

التـاريخ الاجتمـاعي هـو بطبيعتـه تـاريخ النضـال لتحقيـق اسـتقلالية جماهير الشعب. لذا فإن الحركة التاريخية الاجتماعية تتصف بخصـائص الحركة المستقلة.

هذه المبادئ القائلـة بـأن الحركـة التاريخيـة الاجتماعيـة حركـة مستقلة لجمـاهير الشـعب هـي مبـادئ هامـة لنظـرة فكـرة زوتشـيه إلـى التـاريخ الاجتمـاعي، التـي تلاحـظ الحركـة التاريخيـة الاجتماعيـة باتخـاذ جمـاهير الشعب، الذات الفاعلة للتاريخ محورا لـها.

لكل الأحياء في الدنيا مسارات خاصة بها تقوم علـى أسـاليب وقـوانين وجودها، وعددها لا يعد ولا يحصى، كما أنها متنوعة من حيث صورتها وشكلها ونوعها.

مـثلا، إن الطيـور المهـاجرة كـالإوز البـري والسـنونو تقطـع مسـافات طويلة بحثا عن أعشاشها، عند تبدل الموسم، وتقوم الأسماك أيضا برحلـة بعيدة مع تيار البحر.

وهنـاك المـدار الفلكـي لعـدد كبيـر مـن النجـوم فـي الفضـاء، العـالم الماكروسكوبي، وبـالعكس، ثمـة المـدار الإلكترونـي للجسيمات الصـغرى في العالم الميكروسكوبي.

يتغير ما لا حصر له من الأشياء الموجودة في هذا العالم دون توقف، فيما هو ينشأ وينمو ويهلك، سائرا على ذلك السبيل المحدد لكل منه.

فـي سـياق السـير علـى مسـارات الطبيعـة متراميـة الأطـراف طـوال مليارات السنين، ظهر إلى حيز الوجود كثير من المـواد المعروفـة وغيـر المعروفـة أو انـدثرت إلـى الأبـد. مهمـا افترقـت تلـك المسـارات، لـيس ثمـة فيها سبيل آخر إلا الخضوع للطبيعة.

للمجتمع البشري أيضا طرق كمـا هـي الحـال فـي الطبيعـة. يكـون ثمـة

طريق حياة الناس الذي سلكه عدد كبير منهم معانين تصاريف الدهر، والطريق الذي قطعه التاريخ الاجتماعي، وطريق شق الطبيعة الذي فتحه البشر أثناء تطويع الطبيعة.

إن الطريق الذي يسير عليه المجتمع البشري طريق تفتحه جماهير الشعب، الذات الفاعلة له، وهو لذلك ليس سبيلا خاضعا للبيئة والظروف بصورة عمياء، بل إنه طريق التقدم ضد قيودها، طريق الاستقلالية.

بما أن الاستقلالية مطلب جوهري لجماهير الشعب، فمن الطبيعي أن يسير التاريخ الاجتماعي حتما إلى اتجاه تطلبه جماهير الشعب، اتجاه تحقيق استقلاليتها.

منذ أول يوم من صنع جماهير الشعب للتاريخ الاجتماعي، لم تكن تسعى إلى الخضوع لظروف الطبيعة وبيئتها بخشوع، مثلما تفعل الكائنات في عالم الطبيعة، وظلت تناضل ضد كل أنواع القيود والعبودية بما يختلف تماما عن أشياء الطبيعة.

في سياق ذلك، فتحت جماهير الشعب طريقا جديدا لم يكن في العالم، أي طريق الاستقلالية، ولا تني تصنع مصيرها سائرة على هذا الطريق.

إذن، كيف خرج إلى الوجود طريق الاستقلالية من قبل جماهير الشعب، الذات الفاعلة للتاريخ؟

ينطلق ذلك مما تكنه من الأمنية الدهرية.

أمنية البشر الدهرية

كان البشر يحملون عددا كبيرا من الأحلام والأماني لدى صنعهم المجتمع، ومن بينها، بدأت أمنية الاستقلالية تشتد بصورة أكبر منذ انفصال المجتمع إلى طبقات وحدوث المستغِلين والمستغَلين. كانت أمنية

الاستقلالية أشد أماني جماهير الشعب التي كانت تحملها طوال وجود المجتمعات الطبقية.

طبعا إن أماني جماهير الشعب لم تكن واحدة أو اثنتين، لكن أمنية الاستقلالية كانت محفوظة في أعمق قلوبهم.

إذن، ما هي أمنية الاستقلالية؟

هذه هي الأمنية السامية لجماهير الشعب التي تسعى إلى العيش والتطور بوصفها سيدة التاريخ ومصيرها.

ترفض أمنية الاستقلالية عبودية وسيطرة وخضوعا ومهادنة. لا تمت هذه الأمنية بأي صلة إلى سيطرة المرء على الآخرين أو خضوعه لهم، ومهادنته الدنيئة معهم رغم تعرضه لانتهاك سيادته.

قال الزعيم العظيم كيم إيل سونغ دائما أثناء حياته إنه ليس ثمة في الدنيا من يود العيش خاضعا للآخر.

فيما يلي إحدى القصص التي تروي ذلك.

حين كانت حركة الاستقلال على أشدها في الهند في الأيام الماضية، سئل أحد رجال الاستقلال هل تحتاجون إلى الاستقلال، ما دام الهنود سيعيشون حياة أكثر صعوبة، إذا رفعت انكلترا يدها عن الهند. أجاب ذلك الاستقلالي قائلا إن العيش بأنفسنا أفضل، مهما كنا نعيش في عسر، وطالب انكلترا بالانسحاب عن الهند.

رغم أن هذه القصة تتحدث عن الاستقلال الوطني، فهي توعز إلينا كثيرا من المعاني. من هنا، نستطيع أن نحس بأن أي بلد أو أمة في هذا العالم يتطلع إلى الاستقلالية، لا التبعية. أمنية الاستقلالية هي طموح قوي لإقامة المجتمع المثالي الذي يحقق تلك الأمنية.

كانت جماهير الشعب تسلك منذ زمن بعيد طريق الاستقلالية، وفي

أثناء ذلك، كانت تتصور في مخيلتها مجتمعا مجتمعا يعتز باستقلاليتها ويحققها بالفعل، مجتمعا مثاليا يخلو من كل أنواع الاستغلال والاضطهاد حيث يكون جميع الناس متساوين ويعيشون بألفة.

تعطشا للعيش بحرية وسعادة دون العبودية والاضطهاد، كانت جماهير الشعب تود حينا أن تذهب إلى بلد الملائكة، وتغرق حينا آخر في راحة دينية، تواقة إلى جنة إلاهية.

كان هناك ما يسمى "ملكوت مثالي في الجزيرة" و"الفردوس" وغيرهما، لكنها لم تكن تعدو كونها مجرد أحلام سخيفة، إذ لم يكن فيها ملاك طيب القلب أو رب رحيم، بل كان يسيطر عليها المستغِلون والحكام تحت مظهر مخادع. لذا فإن جماهير الشعب أدركت أن كل ذلك سيء، وراحت تناضل ضد الطبقة الاستغلالية ونظامها.

أمنية جماهير الشعب للاستقلالية أمنية مشتركة لجميع الناس كائنا من كانوا، وتزداد شدة مع مرور الزمن. رغم أنها كانت تعاني المحن لاصطدامها بمصائب الدهر لآلاف السنين، فهي لم تكن تنثني، بل وتعاظمت وتوسعت مع مرور التاريخ.

في الأيام الماضية، استخدمت الطبقة الاستغلالية كافة أنواع الوسائل والطرق لإخماد استقلالية جماهير الشعب أو القضاء عليها بشتى صنوف الكلام المعسول. كانت تسكن روعها حينا بالكلام المعسول، وإن لم يفلح ذلك، تستخدم حينا آخر طريقة العنف، وتسوقها إلى المجتمع الإقطاعي أو المجتمع الرأسمالي. إلا أن جميع محاولاتها ومساعيها كانت مرفوضة لعدم توافقها مع أمنية جماهير الشعب للاستقلالية، وباءت بالإخفاق دائما من جراء نضالها المستقل ومقاومتها الجارفة. هكذا فإن أمنية جماهير الشعب للاستقلالية لا تسمح بالسيطرة والعبودية،

وتزداد قوة وشدة في غمار النضال للتقدم الاجتماعي.

إن فكرة زوتشيه هي بالذات وضعت هذه الأمنية التي كانت جماهير الشعب تسعى إليها بعناد، في مركز فكرها ونظرياتها معتزة بها، واتخذت تحقيقها رسالة أساسية لها. كما أنها تضيء طريق تحقيق الاستقلالية، طريق الاشتراكية على نحو علمي، ولذا فقد صارت تنشر نورها في العالم كفكرة خاصة بالاستقلالية، وأصبحت اليوم فكرة عالمية تتبعها وتعتنقها بحماسة شعوب العالم التقدمية.

ههنا بالذات يكمن أحد الأسباب في انتشار فكرة زوتشيه اليوم بسرعة في أنحاء العالم وهي تصبغها بلون الاستقلالية، بما لا يقارن مع انتشار الأديان زمنا ما في العالم.

يدل على ذلك جليا ازدياد عدد منظمات دراسة فكرة زوتشيه وصفوف المؤمنين بها حاليا في العالم، وخوض الشعوب في عدد كبير من بلدان العالم نضالا صارما مطالبة بالاستقلالية.

فإن السير على الطريق الذي تشير إليه فكرة زوتشيه، طريق الاستقلالية يصبح اليوم تيارا عصريا لا يمكن كبحه.

تحويل المجتمع طريق واسع للاستقلالية

هنا، نتحدث عن أصعدة نضال جماهير الشعب للاستقلالية والعلاقات المتبادلة بينها.

طريق الاستقلالية ليس سهلا على الإطلاق، بل إنه طريق وعر يتطلب اجتياز مختلف التلال العسيرة والمعقدة، وتحف به قيود الطبيعة القاسية وقيود النظام الاجتماعي غير العقلاني والقيود الفكرية والثقافية التي تملكها جماهير الشعب بنفسها.

هـذا الأمـر يحـتم علـى جمـاهير الشـعب أن تناضـل مـن أجـل تحقيـق الاستقلالية في الميادين الثلاثة، أي ضد قيود الطبيعة والمجتمع وقيود نفسها.

من خلال النضال لتحويل المجتمع، تحقق جماهير الشعب استقلاليتها الاجتماعيـة والسياسـية، متخلصـة مـن العبوديـة الطبقيـة والقوميـة، ومـن خلال النضال لتحويل الطبيعة والإنسان، توفر الظروف المادية والفكريـة والثقافية التي تتيح لها التمتع بالحياة المستقلة، متحررة من قيود الطبيعة وقيود الأفكار والثقافة البالية.

تدل الحقائق التاريخية بوضوح علـى أن جميع أشكال الحركـة الاجتماعيـة التي تخوضها جماهير الشعب هي حركة هادفة إلى تحقيق الاستقلالية.

مـن جـراء انتفاضـة الأرقـاء التـي يمكـن القـول إنهـا أول انطلاقـة للجمـاهير الكادحـة المضـطهدة فـي سـبيل الاسـتقلالية علـى مـدى التـاريخ، ومـن جـراء النضـال الـذي قـام بـه الفلاحـون فـي القـرون الوسـطى ضـد الإقطـاعية، انهـار نظـام الـرق والنظـام الإقطـاعي، وتحقق تقدم كبيـر فـي نضـال جمـاهير الشـعب الرامـي إلـى الاسـتقلالية. ومـن جهـة أخـرى، تراكمت كميات هائلـة من الخيـرات الماديـة والثـروات الفكريـة والثقافيـة فـي غمـار النضـال لتحويـل الطبيعـة والإنسـان، حتـى صـارت جمـاهير الشعب تتخلص بدرجة ملحوظة من الجهل والظلام.

هكـذا، اتجهـت جميـع أشـكال الحركـة الاجتماعيـة لتحويـل الطبيعـة والمجتمع والإنسان نحو تحقيق تطلعات جماهير الشعب ومطالبها المستقلة.

إذن، ما هو التتابع التراتبي لهذه التحويلات الثلاثة وما هو أسلوبها؟

هذه التحويلات تجري حسب التراتـب المعينـة التـي يقتضـيها التطبيق التاريخي الاجتماعي.

إن سلم الأولويـة لهـذه التحـويلات الثلاثـة يجـب تحديـده بعـد أخـذ كـل

عصر تاريخي والبيئة المحيطة بالمجتمع المعني في عين الاعتبار.

من دون أخذ العصر والبيئة بعين الاعتبار، لا يجوز فهم أن أعمال تحويل الطبيعة والإنسان والمجتمع كلها تدور في آن واحد، أو اعتبار أن أحدها يجري آليا بعد انتهاء الآخر بشكل كامل.

لنلاحظ إذن موضوع بناء الاشتراكية بصفته مجرى عمليا لتطور المجتمع.

في فترة صنع الثورة الاشتراكية، يطرح في المقام الأول موضوع القضاء على الاستغلال والاضطهاد وتحقيق الاستقلالية الاجتماعية والسياسية لجماهير الشعب، وبعبارة أخرى، موضوع تحويل المجتمع.

ذلك لأن القيود الأساسية التي تنتهك استقلالية جماهير الشعب في المجتمع الاستغلالي هي السيطرة والعبودية الطبقيتين والقوميتين. دون القضاء على العلاقات الاجتماعية من السيطرة والعبودية، لا تستطيع جماهير الشعب، المضطلعة بتحويل الطبيعة أن تتمتع بنتائج عملها، وتبقى في حالة العرى والجوع. ولا يمكن لجماهير الشعب أن تهتم بأي نوع من تحويل الطبيعة، في حالة تقيدها اجتماعيا وسياسيا. ولذلك، ينسب أول عمل من الأعمال إلى الثورة الاجتماعية التي تهدف إلى تحويل المجتمع.

إذا أقيم النظام الاجتماعي التقدمي، النظام الاشتراكي بعد القضاء على النظام الاستغلالي من خلال الثورة الاجتماعية، تتوفر الظروف أكثر صلاحية لتحويل الطبيعة والإنسان.

في المجتمع الاشتراكي، يصبح جميع الناس سادة الدولة والمجتمع على السواء، حتى يصير التعاون والتلاحم الرفاقيان أساسا للعلاقات الاجتماعية.

إذا انقلب المجتمع الاستغلالي وحل مكانه المجتمع الاشتراكي، فإن

الطبقات الحاكمة، الطبقات المستغِلة قضى عليها كطبقات، وزال العداء الطبقي، وعلى ذلك، تصبح مصالح الطبقتين الصديقتين، الطبقة العاملة والفلاحين وغيرهم من جميع الجماهير العاملة في هذا المجتمع متطابقة، بالنظر لكونهم جماهير عاملة اشتراكية، وبالتالي، يتشكل بينهم التعاون والتلاحم الرفاقيان، مما يوفر ظروفا صالحة تتيح لجماهير الشعب أن تطرح المهام لتحويل الطبيعة والإنسان في المقام الأول وتضعها موضع التنفيذ.

فيما يلي إحدى القصص التي رواها الزعيم العظيم كيم إيل سونغ في جلسته مع الأصدقاء الأجانب، أي قصة عن الثورة الصناعية وآسيا.

في جلسة لقائه في أوائل تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٨١ مع وفد علماء الهند برئاسة تي. بي. موخيرزي رئيس معهد دراسة فكرة زوتشيه في منطقة آسيا، قال له إن بلدان آسيا أصبحت مستعمرات للبلدان المتطورة في النهاية، لعدم قيامها بالثورة الصناعية. وعندما سأله هذا الشخص دون تكلف حول السبب في ذلك، أجابه قائلا إن البلدان الآسيوية لم تكن تستطيع أن تقوم بالثورة الصناعية، لأن نظام الحكم الإقطاعي فيها كان قويا إلى أقصى درجة، وبعبارة أخرى لأن هذا النظام قيد الناس بقسوة حتى لا يطلقوا مبادراتهم الخلاقة.

تعجب موخيرزي من كلامه إلى حد يطلق معه صيحات التهليل حين أوضح باختصار سبب تخلف البلدان الآسيوية عن التيار العالمي في الماضي.

كما أشار إليه، يمكن القول إن تحويل المجتمع هو مدخل الطريق الواسع لتحويل الطبيعة والإنسان. فقط عند تحويل المجتمع، يمكن تحويل الطبيعة والإنسان بسهولة، دون أي تقيد اجتماعي.

تحويل المجتمع هو في جوهره الثورة الاشتراكية. ذلك لأن أية ثورة سابقة، ما عدا الثورة الاشتراكية، لم توفر تلك الظروف والبيئة الصالحة،

بل كان المجتمع الرأسمالي، ناهيك عن النظام الإقطاعي، يفسد الناس ويخرب البيئة الطبيعية، مما يعيق تحويل وتطوير الإنسان والطبيعة.

الاشتراكية هي وحدها توفر البيئة والظروف الصالحة لذلك. بعد إقامة النظام الاشتراكي، يتحقق تحويل الطبيعة والإنسان من خلال الثورات الثلاث الفكرية والتقنية والثقافية، ويجري تحويل المجتمع بأسلوب ترسيخ وتطوير النظام الاشتراكي، لا بأسلوب ثوري.

التيار العصري، تحويل العالم كله على نهج الاستقلالية

صار اليوم نضال جماهير الشعب لتحقيق الاستقلالية تيارا عصريا.

قال الزعيم العظيم كيم إيل سونغ:

"إن العصر الراهن هو عصر الاستقلالية، برزت فيه الشعوب التي كانت عرضة للاضطهاد والإذلال في الماضي كسيدة للعالم وراحت تدفع عجلة التاريخ بقوة إلى الأمام، ويجتاح التيار الشديد للاستقلالية كل القارات في العالم. إنه لاتجاه رئيسي لعصرنا هذا أن تطالب الشعوب بالاستقلالية وتسير على طريق الاستقلال."

إذا ألقينا نظرة على التاريخ المعاصر، فنجد أن جميع البلدان والأمم تتطلع إلى الاستقلالية في العالم الحالي المكون من الدول القومية، ويشتد بأس النضال الرامي إلى الاستقلالية على نطاق العالم كله.

قضية تحرير جماهير الشعب المضطهدة، بما فيها الطبقة العاملة، التي استهلها ماركس منذ زمن بعيد، دخلت مرحلة جديدة في القرن العشرين. وفي الحقبة اللاحقة، قدم لينين الذي كان مخلصا لقضية ماركس اللينينية، وتحت رايتها، قاد ثورة أكتوبر الاشتراكية، حتى أقام أخيرا أول دولة اشتراكية على الكرة الأرضية.

طبعا إن قضية الثورة العالمية تعرضت للتعرجات والالتواءات بهذا الشكل أو ذاك في سياق تحقيقها منذ ظهور الاشتراكية حتى يومنا هذا، لكن قضية الاستقلالية، قضية الاشتراكية تقدمت إلى الأمام بشكل ظافر، وانهار النظام الاستعماري على نطاق العالم، ودارت حركة التحرر الوطني المناهض للإمبريالية وحركة عدم الانحياز وحركة أنصار السلام العالمي على نحو أكثر سعة وعمقا، تجسيدا لمتطلبات جماهير الشعب المستقلة.

إن ما يقود تيار الوضع العالمي اليوم هو قضية الاستقلالية لدى الشعوب الثورية في العالم التي تناضل من أجل بناء عالم جديد مستقل ومسالم وودي ضد مختلف أنواع الاستغلال والاضطهاد والعبودية وعدم المساواة.

رغم أن تحويل العالم على نهج الاستقلالية يصبح تيارا عصريا، فلا يجوز تركه وشأنه كانسياب مياه النهر في الطبيعة، بل على شعوب العالم التقدمية أن تخوض النضال الرامي إلى تحقيق الاستقلالية بمبادرة منها على نطاق العالم، بتضافر قواها. وبعبارة أخرى، يجب عليها أن تناضل من أجل تحويل العالم كله على نهج الاستقلالية. ههنا بالذات يكمن سبيل حقيقي لردع شتى أنواع العدوان والحرب، وإحلال السلام وتحقيق التقدم والاستقلالية.

توضح فكرة زوتشيه إيضاحا علميا جميع المسائل الناشئة في خوض النضال الرامي إلى تحويل العالم كله على نهج الاستقلالية.

قال القائد العظيم كيم جونغ إيل:

"العالم المستقل هو عالم يخلو من السيطرة والعبودية والتدخل والضغط، عالم يمارس فيه كل بلد وأمة سيادتهما التامة، بصفتهما سيدا لمصيرهما."

تحويل العالم كله على نهج الاستقلالية يعني سير جميع البلدان في

العالم على الطريق المستقل بشكل كامل، دون أن تتبع وترضخ لأي دولة كبرى أو قوى سيطرية.

تحويل العالم كله على نهج الاستقلالية قضية مشتركة للبشرية.

لتحقيق هذا الغرض، يتعين على المرء أن يعارض دوس استقلالية غيره بالأقدام، فضلا عن تعرض نفسه له.

إنه لأبسط منطق أن ينتشر لهب النار التي شبت في بيت الجار إلى بيتي، إذا لم يتم إطفاؤه.

تحويل العالم كله على نهج الاستقلالية يرافقه النضال ضد الإمبريالية والسيطرية. من الطبيعي أن تصاب حديقة الأزهار بالفساد، إذا كان فيها نبات سام. بمثل ذلك، تكون الإمبريالية والسيطرية مصدر كل ما يقع في العالم من البؤس والكوارث.

ما دامت الإمبريالية والسيطرية باقيتين، لا يمكن للعالم أن يعمه السلام، ولا تستطيع الشعوب أن تكون حرة.

لا يدع الإمبرياليون فرصة سانحة إلا ويتدخلون في شؤون الآخرين، وفي بعض الأحيان، لا يترددون في العدوان المسلح الوقح. من جراء ذلك، تتعرض استقلالية عدد كبير من البلدان والأمم لانتهاك صارخ. في هذه الظروف، لا يمكن تحقيق تطلعات الشعوب وأمانيها إطلاقا على نحو منشود دون خوض النضال ضد الإمبريالية. ولذلك، لا بد من تحويل العالم كله على نهج الاستقلالية، من خلال النضال ضد الإمبريالية، تحت راية الاستقلالية الخفاقة.

إذا تحول العالم كله على هذا النحو، فيمكن منع حرب عالمية جديدة، وإحلال السلام الراسخ والازدهار في العالم، ويفتح طريق واسع لتحقيق استقلالية جماهير الشعب ببناء مجتمع جديد مزدهر على أيدي كل بلد

وأمة. سيكون ذلك إحدى نقاط تحول في نضال جماهير الشعب لتحقيق الاستقلالية. لهذا السبب بالذات، يناضل الناس في العالم متخذين تحويل العالم كله على نهج الاستقلالية كبرنامج نضال مشترك.

لوجود فكرة زوتشيه، الفكرة العظيمة للاستقلالية، ستتحقق حتما أمنية البشر الدهرية لعيشهم جميعا بسعادة في العالم الحر والمسالم دون أن يعرفوا شتى أنواع الاستغلال والاضطهاد.

٣) تاريخ البشر ليس دربا هادئا

نود أن نتحدث في هذا الجزء عن كون الحركة التاريخية الاجتماعية حركة خلاقة لجماهير الشعب.

إذا كانت المبادئ المذكورة أعلاه التي تقول إن الحركة التاريخية الاجتماعية حركة مستقلة لجماهير الشعب توضح طبيعة هذه الحركة، فإن المبادئ القائلة بأن الحركة التاريخية الاجتماعية حركة إبداعية لجماهير الشعب توضح طابع هذه الحركة.

قال القائد العظيم كيم جونغ إيل:

"إن الحركة التاريخية الاجتماعية هي الحركة الإبداعية التي تقوم بها جماهير الشعب من أجل إعادة تكوين الطبيعة والمجتمع وتغييرهما."

إن كون الحركة التاريخية الاجتماعية هي حركة إبداعية لجماهير الشعب يعني أن هذه الحركة هي سياق إعادة تكوين الطبيعة والمجتمع وتغييرهما، وترعرع جماهير الشعب نفسها ككائنات مقتدرة، بفعل نشاطاتها الإبداعية.

تتقدم الحركة التاريخية الاجتماعية إلى الأمام بفضل النشاطات الخلاقة لجماهير الشعب التي تمضي في تحويل الطبيعة والمجتمع، بما يتلاءم مع مطالبها المستقلة.

طريق تاريخ البشر الذي يتجه نحو الاستقلالية ليس دربا هادئا يكتنفه السكون، بل تعترضه الأحراج الكثيفة حينا، ويقف حينا آخر في وجهه عدد كبير من البرك والمستنقعات والعواسج الخشنة.

لاجتياز هذه المناطق الشاقة، لا بد من وجود قوة قادرة على شقها. ومن دونها، لا يمكن مواصلة التقدم لتعثر أقدام جماهير الشعب. إن اقتحام ذلك كله يحتاج إلى وسيلة مقتدرة.

نفس الشيء ينطبق على تحقيق المطالب المستقلة لجماهير الشعب أيضا.

تحقيق الاستقلالية بعد إزالة جميع الأشياء التي تقيّد الطبيعة والمجتمع والإنسان عمل جلل، وإنجاح هذا العمل يتطلب خوض النشاطات الخلاقة.

إذا أرادت جماهير الشعب تحقيق استقلاليتها، فليس لها سبيل آخر إلا ممارسة النشاطات الخلاقة.

أنسب وصفة لتحقيق الاستقلالية هي سلاح مسمى بالإبداع.

ولكن نقول هنا إن سياق النشاطات الخلاقة لجماهير الشعب يرافقه النضال، خلافا لحالة مركب سائر على متن الريح.

إذا اضطرت جماهير الشعب في الماضي إلى سلوك الطريق المليء بالعثرات، فذلك بكلمة واحدة لأن نشاطاتها الخلاقة للتقدم بالتاريخ ترافقت بالنضال.

بعيدا عن النضال، لا يمكن زوال القديم، ولا خلق الجديد. وخاصة فإن مجرى تبديل النظام الاجتماعي القديم إلى الجديد وتحقيق تحرير

جماهير الشعب الاجتماعي مجرى نضال طبقي حاد.

إن القوى التي تحاول إبقاء النظام القديم والقوى البالية لا تتخلى عن مكانها من تلقاء ذاتها. بناء نظام وحياة جديدتين متعذر إلا بالنضال في سبيل القضاء على القوى القديمة.

تدل على ذلك تجارب النضال المسلح المناهض لليابان في كوريا. بعد أن تحولت كوريا إلى مستعمرة للإمبريالية اليابانية في أوائل القرن الماضي، كان الوطنيون التواقون بلهفة إلى تحرير بلدهم يترددون مشغولين على باريس ولاهاي "بالعرائض عن استقلال كوريا"، ليلتمسوا استقلال بلدهم، وصرخوا حينا صرخة دماء مطالبين به، وانطلقوا حينا آخر إلى الشوارع بأيد مجردة هاتفين بملء حناجرهم بحياته، ولكنهم لم يجنوا من ذلك سوى السجن والإعدام شنقا وبحر الدماء الغزيرة.

نفس الأمر حدث في الهند أيضا. كان أبرز مثال على ذلك هو حركة العصيان المدني بعيدا عن العنف بقيادة المهاتما غاندي. كانت نواة هذه الحركة التي دعا إليها هي حركة "ساتيا غراها"، ومن أشكالها الإضراب عن الطعام، والنباتية، وعدم قتل الأحياء، واللاعنف، والتقشف وغيرها.

دعا أنصار هذه الحركة: لنواجه السلطة المهاجمة بالعنف بعيدا عن العنف، دون أن يوقف أحد تقدمه أو يسقط على الأرض، حتى إذا تكسر رأسه في سياق مقاومته وخر مضرجا بدمه، بيد الشرطي الذي يضربه بالهراوة ويركله بالقدم. وبدلا ممن سقط على الأرض، ليواصل شخص آخر التقدم إلى الأمام.

مشهد مواجهتهم هذا بالأيدي المجردة دون أي سلاح لقبضة العدو

الحديدية التي لا تعرف شفقة ولا رحمة قد يبدو أمرا بطوليا، لكن ذلك لا يختلف عن حالة الأرنب الضعيف أمام الذئب العاوي، فليس له سبيل إلا تعرضه للابتلاع حيا في فمه.

الرد على العنف بالعنف، والسلاح بالسلاح هو سبيل وحيد لإنقاذ مصير الأمة.

هذا أثبت إجمالا أن نضال التحرر الوطني في المستعمرات مستحيل بالطرق السلمية، وينبغي خوضه بطريقة العنف الثوري لجماهير الشعب فقط.

باستلهام هذه الدروس، أطلق الشعب الكوري نضالا مسلحا ضد الإمبريالية اليابانية، بقيادة الزعيم العظيم كيم إيل سونغ.

أيقن الثوريون الكوريون بأنهم قادرون على قهر أي أعتى عدو، إذا قاتلوه باستنهاض جماهير الشعب كرجل واحد، وتربية العساكر وتوفير الأسلحة. لكن ذلك القتال كان صعبا وعسيرا حقا. بادئ ذي بدء، كان هناك فارق هائل في ميزان القوى بين جانبي القتال.

لهول هذا الفارق، قال بعض الناس إن ذلك أشبه بفرس النبي الذي يحاول إيقاف دولاب العربة بمد ذراعيه، وادعى الإمبرياليون اليابانيون بأن جيش حرب العصابات المناهض لليابان لا يختلف عن "حبة الدخن في المحيط". إلا أن الشعب الكوري انبرى لمقاومتهم دون خوف، بغض النظر عما يقال عنه ومن يقوله.

كما يقول المثل السائر: إذا حزم المرء أمره، يفسح له حتى العفريت طريقا، أصبحت للشعب الكوري أساليب وطريق مفتوح، عندما قاتل بالسلاح بدافع من إرادة القتال المستميت.

نورد فيما يلي قصة عن مشغل السلاح في الغابة في فترة النضال المسلح المناهض لليابان.

في ذلك الحين، خطط بعض الكوريين دون ترو لبناء ورشة القنابل اليدوية في قاعدة حرب العصابات بمساعدة الاتحاد السوفييتي، وطالبوه بها. آنذاك، كان الشيوعيون في العالم كله يتطلعون إلى الاتحاد السوفييتي باحترام كمنار تحرير البشرية. لكن الطرف السوفييتي لم يرد إطلاقا على ذلك. لم يقدم أي وعد بتلبية الطلب أو أي إشعار عن عدم إمكانيته.

أمام هذه الحقيقة، أصدر القائد كيم إيل سونغ قرارا حاسما بالاعتماد على القوى الذاتية. فقد استنهض أفراد جيش حرب العصابات والشعب لبناء مشغل السلاح اعتمادا على النفس واثقين بقوتهم الذاتية، وحرص على صنع الأدوات والبارود اللازمة لإنتاج الأسلحة بالقوة الذاتية.

قال الزعيم العظيم كيم إيل سونغ ما يلي، متذكرا ذلك الحين:

" روح الاعتماد على النفس ... فتحت لأول مرة في تاريخ نضال بلادنا التحرري الوطني، عصرا جديدا من إبداع ما نحتاجه من الصفر. ويمكننا القول إن ملامح العصر هذه، المفعمة بالحيوية والنشاط هي صورة حية تؤكد على صحة وجبروت المنهج الشيوعي الذي يمكن به حل كل المسائل بإذكاء قدرات الشعب وحكمته إلى أقصى حد."

تمشيا مع اشتداد حرب مقاومة اليابان، ازداد عدد أفراد الجيش والأسلحة، وتراكمت التجارب كذلك، حتى صار جيش حرب العصابات المناهض لليابان قوات مسلحة قوية لا يمكن لأحد أن يستخف بها. فقد قال الإمبرياليون اليابانيون يائسين إنه "سرطان في سلام الشرق"، وأخيرا، تعرضوا للفناء بفعل ذلك "السرطان". هكذا تحررت كوريا من سيطرة اليابان.

تجعلنا هذه القصة نفكر في الكثير والكثير حقا.

إن الاستقلالية ليست البتة ثمارا تأتي في بلد الملائكة.

لتنفيذ الاستقلالية، لا بد من رفع سلاح الإبداع والتغيير عاليا، وعلى جماهير الشعب أن تفوز بهذا السلاح بقوتها الذاتية.

نود أن نختم هذا الجزء باقتباس قول مأثور للزعيم العظيم كيم إيل سونغ:

"ليس هناك في التاريخ أمثلة عطفت فيها الدول الكبرى على معاناة البلدان الصغيرة وقدمت الحرية والاستقلال هدية إلى هذه الأمم الضعيفة. إن سيادة كل أمة لا يمكن صيانتها والحصول عليها إلا بجهودها الذاتية ونضالها الصلب. وهذه حقيقة يؤكدها التاريخ عبر القرون والأجيال."

٤) قوة دافعة عظيمة للتاريخ

تحدثنا حتى الآن عما هي طبيعة وطابع الحركة التاريخية الاجتماعية التي تتخذ جماهير الشعب ذاتا فاعلة لها. هذه الحركة حركة هادفة لتحقيق استقلالية جماهير الشعب، وحركة جارية بفعل النشاطات الخلاقة لجماهير الشعب.

إذن، ما هي قوة تدفع بجماهير الشعب إلى الحركة التاريخية الاجتماعية.

توضح مبادئ التاريخ الاجتماعي لفكرة زوتشيه أن الحركة التاريخية الاجتماعية تندفع بفضل النضال الواعي لجماهير الشعب.

قال القائد العظيم كيم جونغ إيل:

"تندفع الثورة قدما إلى الأمام وتنتصر بفضل النضال الواعي لجماهير الشعب."

تقوم جماهير الشعب بالنشاطات الخلاقة لتحقيق استقلاليتها بصورة

هادفة وواعية. بفضل نشاطاتها الهادفة والواعية، تندفع قدما نشاطاتها المستقلة والخلاقة لتحويل العالم وصياغة مصيرها.

بالمقارنة مع القوة الدافعة للقمر الصناعي

في اليوم الثاني عشر من كانون الأول/ ديسمبر عام ٢٠١٢، نجحت كوريا في إطلاق القمر الصناعي "كوانغميونغسونغ رقم ٣" – ٢.

في هذا البلد، أطلق أول قمر صناعي "كوانغميونغسونغ رقم ١" في يوم ٣١ من آب/ أغسطس عام ١٩٩٨، وتلاه "كوانغميونغسونغ رقم ٢" في نيسان/ أبريل عام ٢٠٠٩، وبإطلاق القمر الصناعي "كوانغميونغسونغ رقم ٣" – ٢، أصبحت كوريا عن جدارة دولة تطوير الفضاء، وصار القمر الصناعي التطبيقي الكوري يعمل في الفضاء.

يدور حاليا عدد كبير من الأقمار الصناعية حول الأرض، ويبلغ عددها عشرة الآلاف تقريبا. كيف يستطيع هذا العدد الكبير من الأقمار الصناعية أن يدور حول الأرض؟ وما هي القوة الدافعة لها؟

إن وضع القمر الصناعي في مداره الفضائي يتطلب، عادة، امتلاك القوة النابذة المقاومة للجاذبية الأرضية، عبر الاستعانة بالقوة الدافعة المقتدرة في بداية انطلاقه. عندئذ فقط، يمكنه أن يوضع في مداره المحدد في الفضاء، ويدور حول الأرض دوريا، ليؤدي مختلف الوظائف مثل الأرصاد الجوية والاتصال والاكتشاف والرصد والتنبؤات.

شكل المدار وارتفاعه تقررهما القوة الدافعة للصاروخ الناقل. بعد أن يوضع كل من الأقمار الصناعية في مداره بالاستفادة من القوة الدافعة للصواريخ، يؤدي وظائفه وهو يدور على مساره المحدد. هذا هو مبدأ عام لإطلاق القمر الصناعي.

حين نتحدث عن ذلك، لا نقصد الحديث عن القمر الصناعي وإنما نهدف إلى التأكيد على أنه مثلما يستفيد القمر الصناعي من القوة الدافعة للدخول إلى مداره وأداء وظائفه، كذلك يحتاج تاريخ البشر إلى القوة القادرة على دفعه إلى الطريق المستقل والخلاق لكي يسير عليه حسبما تطلبه جماهير الشعب.

توضح فكرة زوتشيه تلك القوة الدافعة من زاوية جديدة.

حديث مع أحد الأجانب

حديث الزعيم العظيم كيم إيل سونغ الذي نود أن نورده هنا جزء من أجوبته التي أعطاها في يوم ٣١ من آذار/ مارس عام ١٩٩٢ عن الأسئلة التي طرحها مدير تحرير صحيفة "أساهي شيمبون" اليابانية لدى زيارته لكوريا.

في ذلك الحين، سأله مدير التحرير كما يلي:

"سيادة الرئيس كيم إيل سونغ، ستحتفلون عما قريب بالذكرى الثمانين لميلادكم، وقد قدتم الثورة الكورية وأسهمتم بقسط كبير في الثورة العالمية خلال مدة تنوف على ٦٠ عاما. وما هي المسائل التي لمستموها على نحو أكثر شدة خلال تلك المدة؟"

بادئ ذي بدء، عبر الرئيس كيم إيل سونغ عن شكره له على أدائه أعمالا كثيرة لتعريف الناس على كوريا، ثم أجاب عن سؤاله:

"لقد ناضلت، كما تعرفون، مدة طويلة من الزمان من أجل تحقيق رغبة جماهير الشعب في أن تعيش حياة مستقلة متخلصة من شتى أشكال التبعية والقيود. وفي هذا السياق، كان لا بد لي من مواجهة كثير من المحن والصعاب، وقد عشت أحداثا كثيرة، بعضها مفرح

وبعضها الآخر مؤلم، وهي أحداث لا تمحى من الذاكرة إلى الأبد.

... وما أرغب التحدث فيه، هو أن الناس الذين يناضلون في سبيل تحقيق استقلالية جماهير الشعب يجب عليهم، بطبيعة الحال، أن يولوا اهتماما أوليا من أجل رفع مستوى الوعي الفكري المستقل لدى الشعب.

... وغنى عن القول إن الظروف الموضوعية والبيئة تلعب دورا هاما في صياغة مصير الإنسان، إلا أن الإنسان ذاته يؤدي دورا حاسما في كل الأحوال. وعندما نقول إن الإنسان يؤدي دورا حاسما، فإن ذلك يعني في نهاية المطاف، أن وعي الإنسان الفكري يؤدي دورا حاسما. وبالرغم من أن الناس يركزون، عموما، على القول بأن تنمية قدرة الإنسان الخلاقة تستأثر بأهمية كبرى في إعلاء دوره، إلا أنهم لا يعيرون إلا قدرا ضئيلا من الاهتمام إلى حقيقة أن الوعي الفكري غير المرئي يلعب دورا أكثر أهمية. إن القدرة الخلاقة للإنسان يحددها أيضا الوعي الفكري. فإذا استطاع الإنسان أن يقوم بنشاطه الخلاق بما يتفق ومقتضياته المستقلة، فإن الفضل في ذلك يعود إلى تمتعه بالوعي الفكري المستقل. وكما أن تطور القدرة الخلاقة للإنسان ليس محدودا، فإن تطور وعيه الفكري المستقل لا يقف عند حد أيضا."

هذه التعليمات عميقة المغزى التي تلخص التجارب القيمة المكتسبة في طول حياته، توضح إيضاحا جليا وعلميا بالحجج الحياتية ما هو العامل الحاسم الذي يدفع تطور المجتمع.

يلعب الوعي الفكري غير المرئي دورا أهم من القدرة الخلاقة. فلا بد من إيلاء اهتمام أولي لرفع الوعي الفكري المستقل للشعب.

إذن، لماذا يكون الوعي الفكري أهم من القدرة الخلاقة؟

في سياق خوض الحركة الاجتماعية لتحويل الطبيعة والمجتمع،

يظهر البشر قدرا معينا من قدرتهم الخلاقة بكونها قدرة على إدراكهما وتحويلهما.

لكننا نرى الناس يختلفون من أحد للآخر في اتجاه ومدى إظهار قدرتهم الخلاقة. حتى وإن كانوا يتمتعون بنفس القدرة الخلاقة، يظهرها بعضهم إلى أقصى درجاتها، بينما بعضهم الآخر يظهر قدرا معينا منها. ومن جهة أخرى، يستخدمها بعض الناس من أجل التقدم الاجتماعي ولمصلحة الطبقة التقدمية، وبالمقابل، يستخدمها بعضهم الآخر لإعاقة تطور المجتمع أو لمصلحة الطبقة المستغِلة.

هذا السبب يرجع على وجه الدقة إلى اختلاف وعيهم الفكري.

إذا كان الوعي الفكري يعكس مطالب الناس ومصالحهم، فإن القدرة الخلاقة التي تجد تعبيرا عنها في المعارف العلمية والتقنية تعني القدرة على إدراك طبيعة الأشياء والظواهر وقوانين حركتها، وتطبيقها.

نظرا لأن الوعي الفكري يعكس مطالب الناس ومصالحهم، يحدد هدف واتجاه نشاطاتهم وإرادتهم وقدرتهم النضالية. أما القدرة الخلاقة فهي تضمن ذلك، وتتجلى بهذا الشكل أو ذاك في اتجاه معين حسب هدف نشاطات الناس واتجاهها وإرادتهم وقدرتهم النضالية.

فإن هدف وكيفية استخدام الناس ما لديهم من المعارف والتقنيات تقررهما كليا نوعية وعيهم الفكري.

إنها لمعرفة تعبر عن صفة مادة الذرة بحد ذاتها أن تصدر الطاقة الهائلة عند انشطار نواة الذرة، ولكن كيفية استخدام هذه الطاقة الذرية إما لتوليد الطاقة الكهربائية وإما لصنع القنبلة، يقررها الفكر الذي يعكس مطالب الناس ومصالحهم بالنسبة للطاقة الذرية.

ومن هنا، يمكن القول إن الوعي الفكري يؤدي دورا أهم من القدرة

الخلاقة في نشاطات الناس لتغيير الطبيعة والمجتمع. طبعا إن المعارف أيضا تلعب دور قوة دافعة هامة في نشاطات الناس، لكنها تؤثر فيها في جميع الأحوال حسبما يحددها وعيهم الفكري.

ولذلك، قال الزعيم العظيم كيم إيل سونغ إن الوعي الفكري يؤدي دورا أكبر من القدرة الخلاقة، مع كونه غير مرئي.

الوعي الفكري المستقل

قال القائد العظيم كيم جونغ إيل:

"إن الوعي الفكري المستقل يؤدي دورا حاسما في الحركة الثورية لجماهير الشعب في سبيل تحقيق الاستقلالية."

إن الفكر الذي يؤدي دورا أكثر حسما في الإسراع بتطور البشر والتاريخ هو الفكر المستقل بالذات.

الوعي الفكري المستقل هو وعي الإنسان بصفته سيد مصيره وإرادته الرامية إلى صوغ مصيره بنفسه.

ووعي الإنسان بصفته سيد مصيره هو إدراك ثابت بأن الكائن الذي يسيطر على مصيره هو نفسه بالذات.

أما إرادة الإنسان الرامية إلى صوغ مصيره بنفسه فهي عزيمة وتصميم لصنع مصيره حتى النهاية بقوته الذاتية.

الوعي الفكري المستقل يؤدي دورا حاسما في النضال الثوري لصنع مصير جماهير الشعب.

الدور الحاسم الذي يؤديه هذا الوعي يمكن إيجاده فيما يلي:

ذلك هو أولا يجعل الناس ينطلقون بهمة ونشاط إلى النضال لتغيير الطبيعة والمجتمع متخذين موقفا وسلوكا صائبين إزاءهما.

دعونا نأخذ مثالا واحدا على ذلك.

حين أحدثت الآلة البخارية من قبل جيمس وات في الماضي، أدت هذه الآلة دورا كبيرا في استهلال الثورة الصناعية.

بواسطة هذه الآلة، قام الرأسماليون بتنمية الصناعات حينذاك، وامتصوا دماء العمال وعرقهم بأكثر قسوة، بحيث أجبروا على العمل الشاق لأكثر من ١٥ ساعة يوميا. رغم أن المنتجات صدرت بكميات هائلة لا تقارن مع السابق، ولكن خصصت لهم أجرة جد زهيدة تقل عن أدنى نفقة لحياتهم. لذا، رأوا أن الآلة تسبب عناءهم وفقرهم، قائلين إن "الآلة الجديدة تحاول قتلنا". وعلى ذلك، دار النضال لتخريب الآلات وهو ما يسمى "حركة تخريب الآلات" من قبل الطبقة العاملة.

ومن جهة أخرى، أعلن الرأسماليون الذين كانوا يحتكرون الآلات، قانونا صارما يقضي بأن "من يخرّب الآلة محكوم عليه بالإعدام"، مستعينين بسلطة الحكومة، وبذلك، قمعوا العمال بلا رحمة ولا شفقة. بعد أن شاهد العمال تصرفاتهم هذه، راحوا يدركون أنهم لا يستطيعون أن يدخلوا تحسينات على حياتهم، بطريقة تخريب الآلات، حتى فطنوا إلى ضرورة نضالهم ضد الرأسماليين، وليس الآلات. لذا، قاوموهم مطالبين بتقليص ساعات العمل ورفع الأجر، بحيث نجحوا أحيانا في تقليص ساعات عملهم ولو قليلا ورفع أجرتهم.

ولكن مجرد ذلك لم يكن كافيا لتحسين أحوال العمال على نحو جذري، لأن الرأسماليين ظلوا يضطهدونهم ويستغلونهم، ممسكين بزمام سلطة الدولة ووسائل الإنتاج.

فمع مرور الزمن، صار العمال يتسلحون تدريجيا بالوعي المستقل الذي مفاده أن تحسين أحوالهم على نحو جذري يتطلب معارضة كافة

الرأسماليين، لا الرأسماليين الأفراد، والإطاحة بالنظام الرأسمالي الذي يعتمدون عليه، وأخيرا، انطلقوا إلى النضال المنظم حتى أقاموا المجتمع الاشتراكي بعد قلب المجتمع الرأسمالي.

تبيّن هذه الحقائق التاريخية جليا أن الوعي الفكري المستقل يحث الناس على الانطلاق إلى النضال لتغيير المجتمع، واقفين الموقف الصائب من المجتمع والتاريخ، مما يؤدي إلى تحفيز تطور التاريخ بفعالية.

كما أن الوعي الفكري المستقل يدفع قدما بهمة الحركة الثورية، من خلال تحديد الإرادة والقدرة النضالية اللتين يظهرهما البشر في الحركة الثورية، ومدى الإرادة الحازمة والقدرة النضالية اللتين يظهرونهما رهن بأفكارهم. بالرغم من أن لدى الجماهير قدرة ثورية لا ينضب معينها، فهي لا تستطيع إظهارها إلى درجة عالية ما لم تستيقظ فكريا.

إن الجماهير غير المتيقظة فكريا لا تستطيع أن تنطلق إلى النضال الثوري، بالرغم من رزوحها تحت الاستغلال والاضطهاد، وتنثني حتى أمام أتفه الصعاب والمحن التي تعترض سبيل النضال الثوري.

تلك الجماهير المسلحة بالوعي الفكري المستقل تستطيع وحدها أن تتخذ موقفا وسلوكا حازمين في النضال الثوري، وتشارك في النضال الثوري مشاركة إيجابية بالإرادة الصلبة، وتناضل حتى النهاية، متغلبة على كل الصعاب والمحن.

كوريا ـ بلد يتميز بكثرة أقوياء الفكر

لكل بلد من بلدان العالم مفخرته الخاصة. هناك في العالم بلد يفاخر بوفرة موارد النفط، وبلد يتباهى بأرضه الفسيحة، وبلد يزهو بتطور اقتصاده وتقنياته.

إذن، ما هو موضع الفخر في كوريا؟
هذا البلد باعث على الفخر في العالم بكثرة أقوياء الفكر.
لقد وجه جهودا أولية للعمل الفكري منذ زمن بعيد، بعد اتخاذ إعطاء الأولوية له كمطلب حتمي لإنجاز قضية الاشتراكية.
كما ذكرنا آنفا، فإنها لحقيقة التاريخ أن يؤدي الفكر دورا حاسما أكثر من القدرة الخلاقة.
طبعا، يجب تربية عدد كبير من أصحاب المواهب المتضلعين من الكمبيوتر وسائر العلوم والتقنيات المعلوماتية، في هذا اليوم الذي دخل عصر صناعة المعلوماتية. هذا العمل يعد حلقة من حلقات الأعمال لتعزيز قدرات البلاد الوطنية. ومع ذلك، في حالة إهمال الفكر وعدم إيلاء الاهتمام الأولي لتسليح الناس به، يصبح أصحاب المواهب الذين قد تمت تربيتهم ببذل جهود كبيرة يجهلون لمن ولماذا يجب عليهم أن يعملوا. عندئذ، لا يعملون بجد واجتهاد لإثراء بلدهم وزيادة منعته، بل لا يسعون إلا لترفهم وملذاتهم الشخصية، ويصل الأمر بهم في النهاية إلى السير على طريق الخيانة بحق البلاد والأمة، متطلعين إلى بلد آخر.
حتما إن فقر الفكر يؤدي إلى فقر السياسة والدمار. تدل على ذلك بوضوح وقائع الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية السابقة في أوروبا الشرقية، التي انهارت في القرن الماضي نتيجة لتقاعسها عن العمل الفكري.
دون إيلاء الأهمية للفكر وتوجيه اهتمام أولي إليه، لا يمكن إثراء البلاد وتقويتها، ولا تحقيق استقلالية جماهير الشعب. هذه هي حقيقة قيمة علمنا إياها تاريخ القرن العشرين الماضي. ليس ثمة بلد جسد هذه الحقيقة القيمة سوى كوريا الاشتراكية.
لقد عمل هذا البلد على تربية ما لا حصر له من أقوياء الفكر، في

سياق نضاله تحت راية فكرة زوتشيه الخفاقة.

يبقى عدد لا يحصى ولا يعد من أقوياء الفكر المعروفين والمجهولين خالد الذكر في تاريخ الثورة الكورية الحافل بالانتصارات الدائمة منذ إبداع فكرة زوتشيه. ففي فترة النضال المسلح المناهض لليابان، ترعرع عدد كبير من المناضلين الثوريين المناهضين لليابان، وفي فترة حرب التحرير الوطنية، برز عدد كبير من المقاتلين البواسل حتى مجدوا كوريا البطلة، وفي فترات الثورة الاشتراكية والبناء الاشتراكي ولا سيما في التسعينات من القرن الماضي التي كان هذا البلد يمر فيها بالمسيرة الشاقة والمسيرة الحثيثة، نما عدد كبير من أقوياء الفكر المسلحين بروح الجيش الثورية. لامتلاك هذا الجيش الكبير من أقوياء الفكر، تتقدم كوريا بخطى حثيثة في القرن الحادي والعشرين أيضا كما في القرن العشرين، على طريق الاستقلالية، طريق الاشتراكية، فيما هي تؤدي كل الأعمال التي ترغب في أدائها، ساحقة شتى أشكال التحديات والممارسات التعويقية من جانب الإمبرياليين.

تفسير مبادئ فكرة زوتشيه ـ٢

شعلة زوتشيه تضيء المجتمع البشري

تأليف: أو سونغ تشول، باك تشون نام

تحرير: كيم يونغ سون

ترجمة: كيم بونغ نام

ناشر: دار النشر باللغات الأجنبية،

جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية

إصدار: تموز/ يوليو ١٠٩ زوتشيه (٢٠٢٠)

E-mail:flph@star - co.net.kp

http://www.korean-books.com.kp

ISBN 978-9946-0-1961-1

9 789946 019611

دار النشر باللغات الأجنبية
جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية
١٠٩ زوتشيه (٢٠٢٠)